الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

République Algérienne Démocratique et Populaire

١

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي لميلة

المعهد: الآداب واللغات **المرجع:.....**

القسم: اللغة و الأدب العربي

الدرس الصوتي عند الجاحظ من خلال كتاب "البيان والتبيين"

مذكرة معدة استكمالا لمتطلبات نيل شهادة الماستر

الشعبة : لغة عربية **التخصص : علوم اللسان العربي**

إعداد الطالب (ة) :
مخنـــاش أمـــال

إشراف الأستاذ :
عبد الحميد بوفاس

السنة الجامعية : 2014/2013

قال الناظم:

وبعد فالعلم بحور زاخرة لن يبلغ الكادح فيه آخره

لكن في أصولـــه تسهيـــلا لنيله فاحرص تجد سبيـلا

اغتنم القواعد الأصولا فمن تفته بحر م

شكر وعرفان

قال رسولنا الأعظم محمد صلى الله عليه وسلّم:"لا يشكر الله من لا يشكر النّاس"

فإن الحمد لله أولا وأخيرا الذي ببركاته وتوفيقه أتمت هذه الدراسة

ثم الشكر والامتنان للوالدين الكريمين اللذين قوّما سلوكي

حتى اشتد عودي فيا رب ارحمهما كما ربّياني صغيرا

وإذا وجب عليّ الشكر بعد الله سبحانه وتعالى والوالدين الكريمين

فإنه شكر من شرّفني به الله بالإشراف على بحثي هذا

الأستاذ "عبد الحميد بوفاس" إذ كان خير مشرف وخير موجّه وخير مقوّم

فكم لمست منه الإخلاص والهمّة العالية وقد أفدت منه الكثير الكثير

فأدعو الله أن يمدّه بوافر العطاء

كما أتقدّم بجزيل الشكر لأعضاء اللجنة الذين سيقرأون بحثي

ليساعدوني ويرشدوني بملاحظاتهم العلمية لتكون رسالتي في أحسن صورة

وكذلك أشكر كل من ساهم في دعم هذا البحث من الأهل والأصدقاء والأخلاّء.

آمال مخناش

مقدمـــة

مقدمة

عكف اللغويون والأدباء على دراسة اللغة العربية، كونها لغة القرآن الكريم ووسيلة اتصال بين الأفراد، ولمعرفة كُنهها، وإزالة غوامض قضاياها والكشف عن مضامينها دُرست العربية من مختلف مستوياتها الصرفية، النحوية، والدلالية إلا أن المستوى الصوتي لم ينل قِسطا وافرا من الدراسة قديما بشكل مستقل، لكنّ هذا لم يمنع علماءنا الأجلاّء من دراسة أصوات لغة التنزيل من حيث تصنيفاتها ووظائفها، وصفاتها ودورها في الصياغة اللغوية.

فالدراسات اللغوية تحتاج إلى الجانب الصوتي في تحليل البنية التركيبية، لأن جُلّ العلوم اللغوية كالنحو والصرف والدلالة تستند إلى النظام الصوتي، باعتبار أن النظام الصوتي يُسهم في بناء الجملة وتركيب الألفاظ، والوقوف على وجوه الكلمة الإعرابية أثناء الأداء والنطق، وكذا ربط أجزاء الكلام.

هذا فيما يخص النظام النحوي، أما المستوى الصرفي فهو أكثر العلوم المستفيدة من علم الأصوات، فدون معرفة طبيعة الأصوات وعلاقتها ببعضها البعض كالتنافر والتجانس وما يطرأ على الأصوات من زيادة وحذف وإدغام وقلب وإبدال وإعلال؛ فلا يمكن لعالم الصرف الوقوف على أهم القضايا الصرفية التي اشتركت مع علم الأصوات.

أما فيما يخص الجانب الدلالي فاختلاف معاني الكلمات يكون باختلاف الأداء وكذا النبر والتنغيم الذي يطرأ على الكلمة أثناء الحدث الكلامي، فقوة المعنى مرتبطة بقوة اللفظ.

ونظرا لأهمية علم الأصوات ومدى ارتباطه بباقي علوم اللغة فقد دُرس قديما وحديثا مما تمخّض عن ذلك كتب متفردة وعلوم مستقلة درست الأصوات من جوانبها المختلفة، وفي هذا الصدد يمكن أن نطرح الإشكالات التالية:

– ما هي أهم الجوانب الصوتية التي أشار إليها الجاحظ؟ وإلى أي مدى نستطيع القول أن "الجاحظ" في دراساته اللسانية يعد جسرا يربط بين القديم والحديث؟ وهل يمكن أن نعتبره من العلماء الذين سبقوا علماء الغرب في مجال اللسانيات؟

– هل كان الجاحظ على دراية بكيفية الصياغة اللغوية؟.

وللإجابة عن هذه الإشكالات جاء البحث بعنوان "**الدرس الصوتي عند الجاحظ من خلال كتاب البيان والتبيين**".

ومن آفاق البحث وفرضياته:

– الكشف عن أهم القضايا اللغوية التي لها صلة وثيقة بالظواهر الصوتية.

– التوصل إلى بعض القضايا الصوتية الحديثة من خلال الدراسات الصوتية القديمة.

– إبراز قيمة التراث العربي الإسلامي وبيان شمولية واتساع الفكر العربي.

أما الهدف الرئيس من هذا البحث فهو الوقوف عند أهم قضايا الدرس الصوتي وبيان نظرة الجاحظ للأصوات اللغوية ومن ثم طبيعة اللغة، وكذا بيان ما سبق إليه الجاحظ علماء اللغة المحدثون.

أما عن أسباب اختياري الموضوع:

– عدم وجود دراسات مستقلة تتناول الدرس الصوتي عند الجاحظ.

– تداخل علم الأصوات مع غيره من علوم اللغة مما جعل لذلك العلم –علم الأصوات– حضورا لافتا للانتباه في الكتابات اللغوية للعرب القدماء.

– الرغبة في معرفة واحد من جهابذة اللغة والأدب "**أبو عثمان**" والوقوف عند أهم القضايا الصوتية التي تطرق إليها.

ونشير إلى بعض الكتب التي لها صلة كبيرة بالعنوان:

– محمد الصغير بنّاني: النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين.

– عبد الحكيم راضي: الأبعاد الكلامية والفلسفية في الفكر النقدي عند الجاحظ.

– فوزي السيد عبد ربّه: المقاييس البلاغية عند الجاحظ في البيان والتبيين.

وقد اتبعت منهجا وصفيا تحليليا، الذي من خلاله يمكن أن يجيب عما طُرح من إشكالات.

أما المحاور التي ارتكز عليها البحث فقد اشتملت على مقدمة، فصلين، وخاتمة حيث تناولت في الفصل الأول الدرس الصوتي بين القديم والحديث وأشرت فيه إلى مفهوم الصوت والحرف، وكذا الصوت اللغوي جهاز النطق البشري، وحاولنا من خلال هذا الفصل دراسة التفكير الصوتي عند القدماء والمحدثين، أما الفصل الثاني الذي عنون المباحث الصوتية عند الجاحظ وفي هذا الفصل مبحثان؛ حيث تطرق المبحث الأول إلى دراسة مفهوم الصوت عند الجاحظ وكذلك أعضاء النطق ووظائفها النطقية، كما تناول أيضا هذا الفصل الخصائص الفيزيائية للصوت عند الجاحظ.

أما المبحث الثاني فكان حول "الظواهر الصوتية في رحاب الدراسات اللغوية عند الجاحظ" أشرت من خلاله إلى اللهجات العربية، واللسانيات الجغرافية، وتحدثت كذلك عن شرف الفصاحة في رقي العملية التواصلية، وبعدها تطرقت إلى الدلالة الصوتية في قالب الأداء اللغوي.

ثم جاءت الخاتمة التي كانت عصارة البحث وانطوت تحتها جملة من النتائج المتوصل إليها، وقد أُلحقت بقائمة المصادر والمراجع المرتبة ترتيبا ألفبائيا، وبعدها ملخصان باللغة وباللغة الأجنبية ثم فهرس البحث.

بناء على الوصف السابق فإن خطة البحث المفصلة كالآتي:

الفصل الأول: الدرس الصوتي بين القديم والحديث

أولا: مفهوم الصوت والحرف.

ثانيا: الصوت اللغوي وجهاز النطق البشري.

ثالثا: التفكير الصوتي عند القدماء.

- الغرب
  - الحضارة الهندية
  - الحضارة اليونانية
- العرب (الحضارة العربية الإسلامية)

رابعا: التفكير الصوتي عند المحدثين.

- الغرب
- العرب

الفصل الثاني: المباحث الصوتية عند الجاحظ

أولا: الصوت وأعضاء النطق

1. مفهوم الصوت عند الجاحظ
2. أعضاء النطق ووظائفها النطقية عند الجاحظ
   - دور الأسنان في عملية النطق
   - دور اللسان في عملية النطق
   - دور النفس في عملية النطق
3. الخصائص الفيزيائية للصوت عند الجاحظ

ثانيا: الظواهر الصوتية في رحاب الدراسات اللغوية عند الجاحظ

1. اللهجات العربية واللسانيات الجغرافية
2. شرف الفصاحة في رقي العملية التواصلية
3. الدلالة الصوتية في قالب الأداء اللغوي

خاتمة

قائمة المصادر والمراجع

ملخص البحث باللغتين العربية والفرنسية

فهرس

أما الصعوبات التي واجهتني في هذه الدراسة، تتمثل في:

- التداخل الموجود بين المسائل اللغوية عند الجاحظ في مؤلّفه.
- كثرة الرجوع إلى القضايا نفسها والأفكار مما صعّب علي استنتاج بعض القضايا اللغوية التي لها صلة بالظواهر الصوتية.
- صعوبة المصطلحات التي يستعملها أبو عثمان مما صعب معانيها.
- ضيق الوقت الممنوح من أجل البحث في الدراسة المقترحة.

وأخيرا أتوجه بالشكر الجزيل والامتنان الكبير إلى أستاذي المشرف "**عبد الحميد بوفاس**" الذي منّ عليّ بنصائح قيّمة وتوجيهات سديدة أنارت درب هذا البحث فجازاه الله عنّي خير جزاء.

الفصل الأول

الدرس الصوتي بين القديم والحديث

أولا: مفهوم الصوت والحرف

ثانيا: الصوت اللغوي وجهاز النطق البشري

ثالثا: التفكير الصوتي عند القدماء

رابعا: التفكير الصوتي عند المحدثين

أولا: مفهوم الصوت والحرف:

1. مفهوم الصوت:

أ. الدلالة اللغوية لكلمة "صوت":

ورد لفظ الصوت في كثير من المعاجم العربية القديمة، إلا أن هناك تقاربا بين المفاهيم؛ لأن معظم اللغويين عند تحديدهم لمفهوم الصوت انطلقوا من وظائف الأصوات وصفاتها، ومن بين المفاهيم اللغوية ما أورده "الخليل بن أحمد الفراهيدي" حيث يقول: "صَوَّتَ فُلاَنٌ (بِفُلاَنٍ) تَصْوِيتًا أَيْ دَعَاهُ وَصَاتَ يَصُوتُ، صَوْتًا، فَهُوَ بِمَعْنَى صَاحَ. وَكُلُّ ضَرْبٍ مِنْ الأُغْنِيَاتِ صَوْتُ مِنْ أَصْوَاتِ، وَرَجُل صَائِتْ: حَسَنُ الصَوْتِ شَدِيدُهُ. وَرَجُلٌ صِيْتُ: حَسَنُ الصَوْتِ. وَفُلاَنُ حَسَنُ الصِّيْتِ: لَهُ صِيْتُ وَذِكْرُ فِي النَاسِ حَسَنُ"[1].

وجاء في مقاييس اللغة أن الصوت: "جِنْسٌ لِكِلِ مَا وَقَرَ فِي أُذُنِ السَامِعِ يُقَالُ هَذَا صَوْتُ زَيْدٍ، وَرَجُلْ صِيْتُ إِذَا كَانَ شَدِيْدَ الصَوْتِ وَصَائِتُ إِذَا صَاحَ فَأَمَا قَوْلُهُمْ: [دُعَى] فَانْصَاتَ فَهُوَ مَنْ ذَلِكَ أَيْضًا كَأَنَّهُ صَوْتُ بِهِ فَانْفَعَلَ مِنَ الصَوِتْ وَذَلِكَ إِذَا أَجَابَ والصَيْتُ: الذِكْرُ الحَسَنْ فِي النَاسِ: يُقَالُ ذَهَبَ صِيْتُهُ"[2].

يتضح مما تقدم أن الصوت للدلالة على الصياح، والذكر الحسن والشهرة، وكذا للدلالة على صفات الأصوات كالشدة، والحسن والأصوات المستذكرة إلى غيرها من صفات الأصوات نحو قوله تعالى: "إنّ أنكر الأصوات لصوت الحمير"[3].

(1) –الخليل بن أحمد الفراهيدي: معجم العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السمرائي، ج1، د.ط، مؤسسة الهجرة، إيران، 1988م، ص145.

(2) –أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء: مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ج1، د.ط، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ص01.

(3) –سورة لقمان: الآية [18].

ب. الدلالة الاصطلاحية لكلمة "صوت":

تعددت مفاهيم الصوت في اصطلاح اللغويين والعلماء، فهناك من عرّف الصوت انطلاقا من وظيفته أو كيفية صدوره أو أسباب حدوثه وغيرها، ومن بين المفاهيم الاصطلاحية للصوت أنه:" ظاهرة طبيعية تستعملها الكائنات الحية على اختلافها وهو الأثر الحادث عن الحركة والمادة معا"[1].

مما يلاحظ من هذا المفهوم أن الباحث أشار إلى الصوت بصفة عامة وليس مختصا بالإنسان فقط كقولك: سَمِعْتُ صَهِيْلَ الحِصَانْ أو سَمِعْتُ صَوْتَ رَجُلٍ، ثم وضح الباحث بعدها أن الصوت المسموع ناتج عن الحركة والجسم معا.

ومن مفاهيم الصوت كذلك، أنه: "ظاهرة طبيعية ندرك أثرها قبل أن نذرك كنهها وأن كل صوت مسموع يستلزم جسم يهتز على أن تكون تلك الهزات قد لا تدرك بالعين في بعض الحالات"[2].

مما تقدم يتضح أن الصوت ظاهرة طبيعية وأثر مسموع يحتاج إلى عنصرين لتحقيق الأثر: الحركة والمادة أو الجسم.

(1)–أحمد زرقة: أسرار الحروف، ط 1، دار الحصاد للنشر والتوزيع، 1993م، ص 57.

(2)–إبراهيم أنيس: الأصوات اللّغوية، د.ط، مطبعة نهضة مصر، د.ت، ص05.

2. مفهوم الحرف:

أ. الدلالة اللغوية لكلمة"حرف":

ورد المعنى اللغوي للفظ "الحرف" في أساس البلاغة أنه من "انْحَرَفَ وَحَرَّفَ القَلَمَ وَقَلَمٌ مُحَرَّفٌ وَحَرَّفَ، الكَلاَمَ. وَكَتَبَ بِحَرْفِ القَلَمِ وقَعَدَ على حَرفِ السَفِيْنَةَ وقَعَدُوا عَلَى حُرُوفِهَا و مَالِيْ عَنْهُ مَحْرِفٌ أي مَعْدِلٌ وَرَجُلُ مُحَارِفٌ: مَحْدُوْدٌ"[1].

كما جاء المفهوم اللغوي لكلمة (حرف) في معجم آخر على أن الحرف من "حَرَفَ يَحْرِفُ حَرْفًا لعياله: كَسَبَ، وحَرَف عن الشيء: عَدَلَ، وَحَرُفَ حُرْفَة في مَالِه: ذَهَبَ منه شَيءٌ وحَارف الجَرْحِ بالمحراف قايسه بالمسبار حتى عَرَف حدَّ غَوْرِهِ... وهو على الحَرْفِ مَن أَمَرِه أي على طرفٍ وحارفت فُلاَنً بفعلته: كَافَأْتُهُ"[2].

من المفهومين السابقين يتضح أن للحرف دلالات مختلفة منها الطرف، الحد، الجانب المكافأة، الناحية.

ب. الدلالة الاصطلاحية لكلمة"حرف":

وردت مجموعة من المفاهيم الاصطلاحية لكلمة حرف في كثير من كتب اللغة، والنحو فهناك من عرف الحروف على أنها "علامات ورموز سواءً أكانت حروف معانٍ أم حروف مبانٍ"[3].

(1) –أبو القاسم جار الله الزمخشري: أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل عيون السود، ج1، ط1، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، 1998م، ص183.

(2) –موسى بن محمد بن الملياني الأحمدي: الأفعال المتعدية بحرف، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1979م، ص52.

(3) –هادي نهر: علم الأصوات النطقي، دراسات وصفية تطبيقية، ط1، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 1911م، ص10.

كما عُرِّفَ الحرف في كتاب آخر أنه: "كَلِمَةٌ دَلَّتْ عَلى مَعْنًى في غيرها نحو "من" فإن هذا اللفظ كلمة دلت على معنى –هو الابتداء– وهذا المعنى لا يتم حتى تضم إلى هذه الكلمة غيرها، فتقول: ذهبت من البيت"[1].

يتضح مما تقدم أن الحروف سواء أكانت حروف مبان أم حروف معانٍ، هي عبارة عن رموز وعلامات تدل على معانٍ لكن في غيرها؛ فهي تربط بين شيئين لتحقيق الإفادة وتكون غير مقترنة بزمان.

3. الفرق بين الصوت والحرف:

اختلف جمهور النحاة واللغويين من القدماء والمحدثين حول قضية الصوت والحرف وعلاقة كل منهما بالآخر، فالمتأمل في كتب القدماء اللغويين يرى أن الحرف ورد مرادفا للصوت، وهذا ما ذهب إليه "الخليل بن أحمد الفراهيدي" في موضع من كتابه قائلا: "فإذا سألت عن كلمة وأردت أن تعرف موضعها فانظر إلى حروف الكلمة. فمهما وجدت منها واحد في الكتاب المقدم فهو في ذلك الكتاب"[2].

وقد أوضح أحد محققي كتاب العين "أن كلمة الحرف تعني في مصطلح الخليل ما نعنيه باستعمالنا كلمة صوت في عصرنا الحاضر"[3].

ليأتي بعد الخليل "سيبويه" مؤيدا فكرته فيقول: "هذا باب عدد الحروف العربية ومخارجها ومهموسها ومجهورها وأحوال مجهورها ومهموسها واختلافها"[4].

(1) –محمد محي الدين عبد الحميد: التحفة السنية بشرح مقدمة الآجرومية، ج1، مكتبة السنة، القاهرة، 1989م، ص08.

(2) –الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، ج1، ص47.

(3) –المرجع نفسه، ج1، ص11.

(4) – أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر: الكتاب، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، ج4، (ط3)، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1980م، ص431.

يُفهم مما تقدّم أن الصوت عند المتقدمين هو مرادف للحرف، ويرجع السبب في ذلك اهتمامهم بالمادة المكتوبة أكثر من المنطوقة؛ إلا أنه في القرن الرابع للهجرة نجد "ابن جني" يفرق بين الحرف والصوت، فيوضح قائلا: "اعلم أن الصوت عرض يخرج مع النفس مستطيلا متصلا حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته"[1].

أما المحدثون فقد فرقوا بين الحرف، والصوت وأقروا أن الحروف رموز، وأشكال خطية للأصوات، وهذا ما وضحه أحدهم بقوله: "الصوت ينطق فيكون نتيجة تحريك الجهاز النطقي وما يصاحب هذا التحريك من آثار سمعية ولكن الحرف لا ينطق وإنما يفهم في إطار نظام من الحروف ويسمى النظام الصوتي للغة"[2].

ولتوضيح تلك العلاقة بين الصوت، والحرف المستنبطة من المفهوم السابق يدرج لنا الدارس نفسه مثالا يعطي فيه منزلة لكل من الحرف والصوت، حيث شبه الحرف والصوت مثل الطلاب والصفوف، فالطالب حقيقة مادية والصف وحدة تقسيمية لأن الحرف عنوان على عدد من الأصوات والصف عنوان عدد من الطلبة أي الصوت والطالب حقيقتان ماديتان والحرف والصف قسمان من النظام يضم غيرهما من الأقسام[3].

ومن الباحثين المحدثين من أشار إلى أن الحرف "هو الصوت الذي يحدث عندما يقوم في جهاز التصويت حادثا يعترض النفس ثم يجتاز النفس ذلك الحاجز"[4]، أي أن الصوت ينتهي عندما يُبدأ الحرف.

(1) –أبو الفتح عثمان بن جني: سر صناعة الإعراب، دراسة وتحقيق حسن هنداوي، ج1، ط2، دار القلم، دمشق، 1993م، ص06.

(2) – تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1994م، ص72.

(3) –المرجع نفسه، ص74.

(4) –لطيب البكوش: التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، تقديم صالح القرمادي، ط3، مكتبة الإسكندرية، 1992م، ص38.

كما أن "عبد الله السهيلي" ذهب إلى أن الصوت عام، والحرف خاص فيقول: "الحركة عبارة عن تحريك العضو الذي هو الشفتان عند النطق بالصوت الذي هو الحرف والحرف عبارة عن جزء من الصوت"[1].

وفي الأخير نخلص إلى أن العرب قد وفقوا في بيان الفرق بين الحرف والصوت وخاصة منهم اللغويين المحدثين لأنهم تناولوا مصطلحي الصوت والحرف بالدراسة والتحليل معتمدين في ذلك على الكتب التراثية القديمة.

ثانيا: الصوت اللغوي وجهاز النطق البشري:

1.مفهوم الصوت اللغوي:

نظرا لأهمية هذا النوع من الصوت في الدراسات اللغوية، اهتم به كثير من اللغويين وأفردوا له كتبا مستقلة تدرس الصوت اللغوي، من جميع جوانبه وما يطرأ عليه من تغييرات حيث يرى أحد الدارسين "أن الصوت اللغوي يصاحب في العادة كل نشاط إنساني يشترك فيه إثنان أو أكثر"[2]، كما عرّفه باحث آخر فيقول: "تصدر الأصوات اللغوية من مجموعة من الأعضاء عند الإنسان وتقوم بعض هذه الأعضاء بوظائف أخرى مهمة لحياة الإنسان"[3].

يتضح من المفهومين السابقين أن الصوت اللغوي يختص بالكائن البشري، وأن أعضاء النطق البشري لها وظائف أخرى مثلا: الفم، الأنف، الأسنان واللسان هي أعضاء النطق ولها وظائف أخرى مثل: الشم، الأكل، التذوق وغيرها من الوظائف، علاوة على وظيفة النطق وإصدار الأصوات.

(1) –عبد الله السُهيلي: نتائج الفكر في النحو، حققه وعلق عليه عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م، ص06.

(2) –أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي، علم أصوات العربية، دط، مطبعة المجمع العلمي، 2002م، ص42.

(3) –غانم قدوري حامد: مدخل إلى علم الأصوات العربية، دط، مطبعة المجمع العلمي، 2002م، ص42.

وحتى تتحقق العملية النطقية يرى أحد الدارسين أن هناك "عناصر ثلاثة تستدعيها عملية الصوت، هي: 1.جسم يتذبذب، 2.وسط تنتقل فيه الذبذبة الحاصلة عن الجسم المتذبذب، 3.جسم يتلقى هذه الذبذبات"[1].

ومن هنا يتضح أن الصوت اللغوي "أثر سمعي يصدر طواعية، واختياراً عن تلك الأعضاء المسماة تجاوزا أعضاء النطق"[2].

ويحدث الصوت اللغوي في جهاز النطق الإنساني عن طريق "أربعة عمليات منفصلة هي حركة تيار الهواء التي ترتبط بالرئتين، ونشاط التصويت الذي يرتبط بالحبلين الصوتيين وزيادة حجم الصوت الذي يرتبط بفجوات الأنف والفم والعملية النطقية التي ترتبط باللسان والشفتين"[3].

2. أعضاء النطق البشري:

أنعم الله سبحانه وتعالى على عباده بجهاز يتألف من أعضاء تقوم بوظائف عديدة من بينها وظيفة إصدار الصوت، والمخطط الآتي يوضح الأعضاء المشاركة في إنتاج الصوت[4]:

1 الجهاز التنفسي

- **الرئتان**
- **العضلات المستعملة في توزيع الشعيبات الهوائية أو تضييقها**
- **القصبة الهوائية**

(1) –خليل إبراهيم عطية: في البحث الصوتي عند العرب، منشورات دار الجاحظ للنشر، بغداد، دت، ص06.

(2) –كمال بشر: علم الأصوات، ج1، دط، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2000م، ص119.

(3) –أحمد زرقة: أسرار الحروف، ص76.

(4) –عصام نور الدين: علم الأصوات اللغوية الفونيتيكا، (ط1)، دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان، 1992م، ص ص 50– 64.

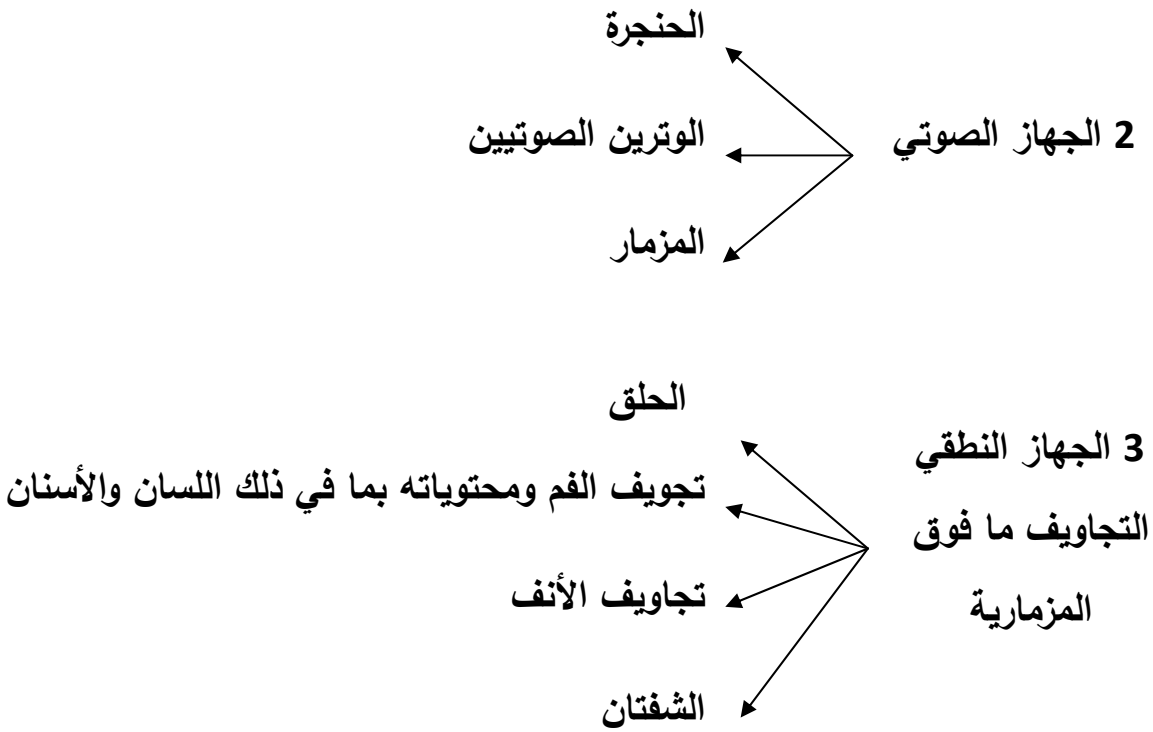

ثالثا: التفكير الصوتي عند القدماء:

1.الغرب:

أ. الحضارة الهندية:

تطورت الدراسات الهندية في القرن الخامس، أو الرابع ميلادي على يد مجموعة من الباحثين وفي مقدمتهم "بانيني"، وكان سبب الاهتمام بالدراسات الهندية خدمة الكتاب المقدس "الفيدا"، وخوفا من تأثيرات الزمن، والفساد اللهجي ناهيك عن الفضول العلمي حيث درس الهنود الأصوات اللغوية، وتجلى ذلك في أبحاث "بانيني" اللغوية، التي أسهمت في تطوير المنهج العلمي لدراسة الأصوات في الثقافة اللسانية المعاصرة، كما درس الهنود الصوت المفرد وقسموه إلى علل وأنصاف علل، والعلل إلى علل بسيطة ومركبة واكتشفوا الأصوات الانفجارية، والفتح في إنتاج أصوات العلة، والتذيق في إنتاج الأصوات الاحتكاكية، وبينوا أنه إذا فُتح ما بين الوترين الصوتيين ينتج النفس، إذا ضيق ما بينهما ينتج الصوت، وبأن النفس يحدث في حالة الأصوات الساكنة المهموسة، ولم يكتفوا بذلك بل تحدّثوا عن المقطع وفصلوا

فيه، ووضعوا قواعد للنبر في لغتهم القديمة وعدّوه من خصائص العلل لا السواكن وقسّموه إلى ثلاث درجات وذكروا مخارج الأصوات[1].

ومعنى هذا أن الهنود كانت لهم الأسبقية إلى الدرس الصوتي من جوانبه المختلفة وأصبح الفكر الهندي اللساني منبعا للدراسات اللسانية الحديثة وهذا ما أكده أحدهم بقوله: "الأصوات بدأت تنمو بعد اكتشاف السنسكريتية والصّواتة كونت أساس الدرس اللساني الحديث"[2].

ب. الحضارة اليونانية:

يمكن القول أن لهذه الحضارة رصيدا معرفيا في مجال الدرس اللغوي ويبدو ذلك في القيمة العلمية، والتراث اللغوي اليوناني في البحوث التي قدمها "أفلاطون" و"أرسطو" و"الدراسة الرواقية"، ويظهر للباحث في الحضارة اليونانية أن أفلاطون أول من فرق بين الإسم والفعل وقسم الأصوات إلى ثلاثة عناصر: أصوات العلة، الأصوات الساكنة المجهورة والأصوات الساكنة المهموسة وقد أقر أرسطو تقسيم أفلاطون للكلمة، لكنّه أضاف قسما ثالثا سمّاه الرّابطة[3].

2.العَرَبْ (الحضارة الإسلامية العربية):

حظي الدرس الصوتي عند العرب القدماء بكثير من الاهتمام، نظرا لمدى ارتباط هذا العلم بالقرآن الكريم، وأحكامه وتلاوته وشرحه، وتفسيره والغوص في مضمونه، وكذا حفاظا على ألفاظ اللغة العربية من الزوال والاندثار، فلأجل ذلك جرت طائفة من اللغويين والنحاة لدراسة اللغة العربية، وما تحمله في طياتها من مستويات، ولعل الملامح الأولى برزت في المبادرات التي قام بها "أبو الأسود الدؤلي" في شكله للقرآن الكريم، خوفا من اللحن فيه، وهذا

(1) –السعيد شنوقة: مدخل إلى المدارس اللسانية، (ط1)، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، 2008م، ص13.

(2) –منصور بن محمد الغامدي: الصوتيات العربية، (ط1)، مكتبة التوبة، 2001م، ص05.

(3) –المرجع السابق، ص15.

ما أكده "عبد الفتاح الدّجني" في قوله: "أبو الأسود الدؤلي الذي وضع أول شكل في القرآن مستخدما في ذلك إشارات معينة حافظت على النص القرآني من اللحن فترة زمانية لا يستهان به"[1].

أي أنه وضع رموزا مكان الحركات للنطق السليم، واعتمد على الوصف الصوتي للكلمات في القرآن الكريم، وفي هذا الصدد يقول أحد اللغويين أنه "اعتمد الرؤية البصرية المرتكزة على وصف كلمات القرآن الكريم وصفا صوتيا"[2].

ثم ظهرت فيما بعد دراسات صوتية على يد "الخليل بن أحمد الفراهيدي" الذي اعتمد في وضعه للأصوات على ما يحسه من اختلاف في أعضاء النطق، وعلى العملية العضلية التي يقوم بها الإنسان عند صدور كل صوت"[3].

كما اعتمد الخليل في شكله للحروف الشكل المعروف (الفتحة، الضمة، الكسرة) ووضع رموزا خاصة للهمزة، وكذا وضع رموز للصوت المدغم، وهذا ما أشار إليه أحد الباحثين بقوله: "الذي وضع الشكل المعروف، والذي وضع رمزًا خاصة للهمزة... وقد وضع الخليل – أيضا– رمزًا للصوت المدغم في غيره هو الذي نسميه بالشدة"[4].

كما عرف الخليل الجهاز الصوتي عند الإنسان، وحدد مخارج الأصوات العربية في ذلك الجهاز الموضحة في الجدول الآتي[5]:

(1) –فتحي عبد الفتاح الدّجني: أبو الأسود الدؤلي ونشأة النحو العربي، (ط1)، وكالة المطبوعات، الكويت، 1974م، ص36، 37.

(2) –عصام نور الدين: علم وظائف الأصوات، ص06.

(3) –وفاء البيه: أطلس أصوات اللغة العربية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1994م، ص46.

(4) –عبد العزيز أحمد علاّم، عبد الله ربيع محمود: علم الصوتيات، مكتبة الرشد، الرياض، 2009م، ص75، 76.

(5) –الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ج1، ص58.

الحروف	مَدْرَجَتُهَا ومَوْضِعُهَا
العين والحاء والغين	حروف حلقية لأن مبدأها من الحلق
القاف والكاف	حرفان لهويتان لأن مبدأهما من شجر الفم أي مخرج الفم
الصاد، السين والزاء	حروف أسلية، لأنها مبدأها من أسلة اللسان وهي متسلّق طرف اللسان
الطاء، التاء والدال	نطعية لأنها مبدأها من نطع الغار الأعلى
الظّاء، الذال والثاء	حروف لثوية لأن مبدأها على اللثة
الراء، اللاّم والنون	حروف ذلقية لأن مبدأها من ذلق اللسان وهو تحديد طرفي ذلق اللسان
الفاء، الباء والميم	حروف شفوية وقال مرة شفهية لأن مبدأها من الشفة
الياء، الواو، الألف الهمزة	حروف هوائية بحيّز واحد لأنها لا يتعلق بها شيء

يتضح من الجدول السابق أن الحروف التي ألفت منها العربية تسعة وعشرون حرفا عند "الخليل ابن أحمد الفراهيدي" مرتبة كما يلي: [ع ح هـ خ غ] [ق ك] [ج ش ض] [ص س ز] [ط د ت] [ظ ذ ث] [ر ل ن] [ف ب م] [و أ ي ء]؛ أي أن للحروف الهجائية ثمانية مخارج إضافة إلى الحروف الهوائية.

وقد وصل الخليل بفضل علمه إلى معرفة مدى تلاؤم بعض الحروف عند تجاورها حيث قال: "العين والقاف لا تدخلان في بناء إلا حسنتاه، لأنها أطلق الحروف وأوضحها وأضخمها جرسا فإذا اجتمعا أو أحدهما في بناء حسن البناء لنصاعتهما"[1].

كما أشار "الخليل" إلى صفات الحروف، وأصّل أيضا للكلمة ومعرفة إن كانت من كلام العرب، أم ليست من كلامهم كقوله "من كلام العرب كلمة واحدة رباعية أو خماسية إلا وفيها من حروف الذلق والشفوية واحد إثنان أو أكثر"[2]. فتلك البصمة في الدراسات الصوتية

(1) –الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، ج1، ص53.

(2) –المرجع نفسه، ج1، ص52.

جعلت هذا العالم "وصل بفضل معارفه الصوتية الموسيقية إلى نظام الإيقاع، وموسيقى الشعر العربي، فأضاف بذلك عملا صوتيا إلى سجل أعماله الخالدة"[1].

إقتفى أثر الخليل من بعد ذلك تلميذه سيبويه فكانت له هو الآخر رؤية في علم الصوت، فقد تحدث عن مخارج الحروف وصفاتها وأشار إلى بعض الظواهر الصوتية وبين مخارج الأصوات العربية التي تضم تسعة وعشرين حرفا وهي الأصل عند سيبويه "الهمزة، الألف، الهاء، العين، الحاء، الغين، الخاء، الكاف، القاف الضاد، الجيم، الشين، الياء، اللام، الراء، النون، الطاء، الدال، التاء، الصاد، الزاي، السين، الظاد، الذال، الثاء، الفاء، الباء، الميم والواو"[2]. ولهذه الحروف العربية ستة عشر مخرجا توضح في الجدول الآتي[3]:

الحروف	مخارج الحروف
الهمزة الهاء والألف	أقصى الحلق
العين والحاء	وسط الحلق
الغين والخاء	أدنى الحلق
القاف	من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى
الكاف	أسفل من وضع القاف من اللسان قليلا ومما يليه من الحنك الأعلى
الجيم والشين والياء	وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى
الضاد	من بين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس
النون	من حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان ما بينهما وبين ما يليها من الحنك الأعلى وما فويق الثنايا
الرّاء	من مخرج النون غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلا لانحرافه إلى اللام
الطاء والدال والتاء	من طرف اللسان ومن الثنايا

(1) –عبد العزيز أحمد علام، عبد الله ربيع محمود: علم الصوتيات، ص77.

(2) –سيبويه: الكتاب، ج3، ص430.

(3) –المرجع نفسه، ج4، ص433، 434.

الزاي والسين والصاد	طرف اللسان وفويق الثنايا
الظّاء، الذال والثاء	طرف اللسان وأطراف الثنايا
الفاء	من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا
الباء، الميم والواو	ما بين الشفتين
النون الخفيفة	من الخياشيم

كما تناول "سيبويه" في كتابه صفات الحروف فيقول في هذا الصدد "فأما (المجهورة) فالهمزة، والألف، والعين، والغين، والقاف، والجيم، والياء، والضاد، واللاّم...، وأما (المهموسة) فالهاء، والحاء، والخاء، والكاف، والسين، والشين، والتاء، والصاد، والثاء... ومن الحروف الشديد وهو الذي يمنع الصوت أن تجري فيه وهو الهمزة، والقاف والكاف والجيم...، ومنها (الرخوة) وهي: الهاء، والحاء، والغين، والخاء، والشين، والصاد والضاد، والزاي، والسين، والظاء، والثاء، والذال، والفاء... ومنها (المنحرف)... وهو اللاّم... وم+نها (المكرر)... وهو الرّاء، ومنها (اللينة) وهي الواو والياء... ومنها (الهاوي)... وهي الألف... ومنها (المطبقة والمنفتحة). فأما المطبقة فالصاد، والضاد والطاء والظاء –والمنفتحة: كلُّ ما سوى ذلك من الحروف"[1].

فدراسة سيبويه لمخارج الأصوات، وصفاتها كانت دراسة وصفية دقيقة، وببزوغ فجر القرن الرابع للهجرة وصل إلينا عبقري آخر "ابن جني" الذي يعد له الفضل الكبير في جمع ما جاء به من سبقوه في مؤلفه "سر صناعة الإعراب"، ويمكن أن نُجمل الدراسات الصوتية في سر صناعة الإعراب فيما يلي: تناول عدد حروف المعجم، وترتيبها ووصف مخارجها وصفا تشريحيا وبيان صفاتها العامة، وتقسيمها إلى أقسام، وكذا ما يعرض للصوت في بنية الكلمة من تغيير، كما تطرق إلى الفصاحة في اللفظ المفرد، وربطها بطريقة التأليف الصوتي[2].

(1) –سيبويه: الكتاب، ج4، ص434،436.

(2) –ابن جني: سر صناعة الإعراب، ص ص06–20.

وفي القرن السادس هجري وصلت إلى القارئ رسالة في الأصوات العربية المعنونة "أسباب حدوث الحروف" للفيلسوف "ابن سينا" إذ تناول في الفصل السّادس أعضاء النطق والجانب الفزيائي للصوت، وذلك عند تفسيره للأصوات اللغوية ووصفها فيقول: "فالهاء تسمعها عند اندفاع الهواء بقوة في نفس الهواء، والعين تسمعها عند اندفاع الهواء بقوة في الماء، والحاء عند إخراج الهواء من كل مذيق مستعرض رطباً، وعند إمرار يدك على جسم لين خشن إمرارا منبسطا، والخاء عن حكك جسما جافا بجسم صلب إلى الدقة مع الامتداد بحيث يزيل خشونته اللينة ولا ينفذ فيه"[1].

هذا باختصار ما قدمه العلماء العرب في مجال الدراسات الصوتية.

رابعا: التفكير الصوتي عند المحدثين:

1. الغرب:

حاول المحدثون الغرب فك شفرات كل ما يتعلق باللغة اعتمادا على ما جاء به القدماء، فبرز في ظل ذلك طائفة من اللغويين درسوا اللغة من مختلف جوانبها، وبالتقدم العلمي، والتطور التكنولوجي استطاع اللسانيون المحدثون تقديم مجموعة من المفاهيم والمصطلحات اللسانية كمفاتيح أولية لإزالة الغموض، واستخلاص العلائق وذلك بالشرح والتحليل، والتعليل ولما كانت اللغة ظاهرة لغوية، وجب دراستها من مختلف جوانبها خاصة ما يتعلّق منها بالمستوى الصوتي.

ولعل من أهم الدراسات الصوتية الحديثة في الغرب، ما جاءت به مدرسة براغ التي برز في نطاقها مجموعة من الأعلام منهم: "تروبتسكوي"، و"رومان ياكبسون"، و"بوهلر" وكانت عناية زعماء المدرسة تكمن في "الصوت" المعروف في الدرس اللساني الحديث بالفونيم (Phonème).

(1) –ابن سينا: رسالة أسباب حدوث الحروف، تحقيق محمد حسّان الطيّان يحيا مير، دط، علم مطبوعات، مجمع اللغة العربية، دمشق، ص133، 134.

وقد عرّف مؤسسو المدرسة الفونيمية "الفونيم" أنه وحدة فونولوجية مجرّدة لأن ما ينطق به فعلا خلال الكلام هو المتغيّر الصوتي Allophone[1].

وقد أسهم "تروبتسكوي" في تطوير مفهوم الفونيم فكان من بين أسس التحليل الفونولوجي عنده كالآتي[2]:

- الفونيم هو علامة لسانية مهمتها حمل معنى الكلمة.

- الفونيمات المنتمية إلى لغة واحدة متضادة، ويتم التعبير عنها بواسطة عناصر الحركات والصوامت والإيقاع.

- تؤدي التقلبات دورا جوهريا تظهر في سلسلة من المكونات المتوازية ويؤدي أحد طرفي التقابل وظيفة الطرف الموسوم.

كما نجد "تروبتسكوي" طور مفردات لتصنيف الأنواع المختلفة من التقابل الفونيمي"[3] وبهذا يكون هذا اللساني قد تطرق إلى الفونيم ووظيفته داخل التركيب، وعلاقتها بالفونيمات الأخرى وطوّر مفهوم الفونيم، وما يشكله من مفردات.

كما أشار "ياكبسون" إلى الأصوات في جميع اللغات وهذا ما أكده أحد الدارسين قائلا: "اقترح ياكبسون اعتماد سلم هرمي شامل للأصوات في جميع لغات العالم"[4] وله كذلك نظرية في الخصائص الصوتية الوظيفية"[5].

ويجدر بنا كذلك الإشارة إلى "أندريه مارتنيه" الذي يعد كذلك من زعماء المدرسة الوظيفية؛ حيث كانت له هو الآخر نظريات وأسس واضحة المعالم في مجال الصوتيات وعالم الفونولوجيا، ونجده في موضع من كتابه يربط الوظيفة بالفونيم داخل السياق حسب

(1) –أحمد مومن: اللسانيات النشأة والتطور، ط1، بن عكنون، الجزائر، 2007م، ص136، 137.

(2) –نعمان بوقرة: اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، ط1، عالم الكتب الحديث، 2009م، ص90، 91.

(3) –جفري سامسون: مدارس اللسانيات التسابق والتطور، ترجمة محمد زياد كبة، د.ط، النشر والمطابع، جامعة الملك سعود، دت، ص105.

(4) –جون إيْ جويف وآخرون: أعلام الفكر اللغوي الغربي في القرن العشرين، ترجمة أحمد شاكر الكلابي، ط1، دار الكتب الجديدة المتحدة، 2006م، ص47.

(5) –سعيد شنوقة: مدخل إلى المدارس اللسانية، ص86.

المتكلم فيقول: "يتوجب على عالم الفونولوجيا الذي يصف لسانا ما أن يحدد مختلف الطرق التي بمقدور الفونيم ذاته أن يتحقق من خلالها وفق السياقان وحتى وفق المتكلمين"[1].

وتناول أندريه مارتنيه ما يدرسه علم الأصوات وفي إطاره فصل الفونيم على أعضاء النطق فدُرس الصوت مستقلا على أعضاء النطق، وكذلك الأعضاء المستقبلة للصوت، وفي هذا الصدد يقول: "علم الأصوات هو دراسة التصويت بصورة عامة أي استقلالية الأعضاء التي تشترك في إنتاج أصوات اللغة الإنسانية وفي تلقيها"[2].

وبهذا تكون مدرسة براغ قد اهتمت بالدراسات الصوتية في إطار ما يعرف بالفونولوجيا فدرس الفونيم باعتباره أصغر وحدة تنتمي إلى اللغة على خلاف الصوت الذي ينطوي تحت الكلام، وهذا ما أكده أحد الدارسين في قوله "أن مدرسة براغ ركّزت على دراسة الفونيم الفونيمات (الأصوات) تنتمي إلى اللغة بين عدة الأصوات الكلامية تنتمي إلى الكلام لذا انكبت على دراسة الفونيم وتطوير نظرية الأصوات الوظيفية"[3].

2. العرب:

لم تحض الدراسات الصوتية قديما بكتب مستقلة تدرس الصوت، والتغيرات التي تطرأ عليه من مختلف جوانبه، إلا ما جاء به مقدمات كتب اللغويين المتقدمين، أو في مباحث أو فصول من مؤلفاتهم وذلك أثناء غوصهم في الدراسات اللغوية بهدف الوصول إلى أعمالهم الأصلية، لكن ما لبث التفكير الصوتي حتى صار علماً يُدرس من جميع جوانبه بفضل الجهود المستمرة، والبحث في التراث اللغوي، والتطور العلمي والتكنولوجي بحيث استخدم "علم الأصوات الحديث منذ النصف الثاني من القرن الثاني عشر الأجهزة الدقيقة، سواء في التسجيل أو التحليل"[4]، فتمخّضت عن تلك الدراسات كتب مستقلة، تناولت جملة من

(1) –أندريه مارتنيه: وظيفة الألسن وديناميتها، ترجمة نادر سراج، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2009م، ص157.

(2) –المرجع نفسه، ص257.

(3) –السعيد شنوقة: مدخل إلى المدار اللسانية، ص76.

(4) –أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي، ص53.

النظريات أكملت ما بدأ به اللغويون القدماء في مجال الأصوات مع إضافة بعض المصطلحات والمفاهيم المغايرة ومن بين الباحثين المحدثين "كمال بشر" الذي ألّف كتابا بعنوان "علم الأصوات" تناول فيه الصوت اللغوي، والأصوات العربية، وتصنيفاتها كما تحدث فيه أيضا عن النبر والتنغيم، والمقطع، وأشار إلى بعض التطورات التي لحقت بعلم الأصوات في مختلف المجالات، كما قدّم للقارئ ترتيبا صوتيا للأحرف، يختلف بعض الشيء عن ترتيب القدماء، وفي هذا الصدد يقول: "هذا ترتيبنا: الهمزة والهاء- العين والحاء- القاف- الخاء والغين والكاف والواو- الياء- الجيم والشين- الراء والزاي- السين والصاد- التاء والدال والضاد والطّاء واللام والنون- والثاء والظّاء- الفاء- الباء والميم والواو"[1].

كما أشار "كمال بشر" إلى أن القدماء لم يفصلوا في دراسة أعضاء النطق وآلياته فيقول: "للعرب في القديم معرفة غير منكورة بجهاز النطق وأعضائه وآليات تفعيله، نعم إنهم لم يقف عند كل عضو وقفة خاصة لتعريفه أو تحديد علاقته بغيره من الأعضاء، كما يجري عليه العمل عند المحدثين الآن عربا أو غير عرب"[2].

مما جعل هذا الباحث يتطرق إلى دراسة أعضاء النطق بالشرح والتفسير والتحليل وهذه باختصار أعضاء النطق كما أشار إليها "كمال بشر" هي: *الشفاه *الأسنان *أصول الأسنان (ومقدم الحنك) *الحنك الصلب (وسط الحنك) *الحنك اللّين (أقصى الحنك) *اللهاة *طرف اللسان *مقدم اللسان (وسط اللسان) *مؤخر اللسان *الحلق *لسان المزمار *موقع الأوتار الصوتية[3].

كما برز في الدرس الصوتي الحديث "إبراهيم أنيس" من خلال كتابه الأصوات اللغوية الذي تناول فيه ظاهرة الصوت، وكيف يحدث الصوت اللغوي، وكذا تناول أعضاء النطق وصفات الحروف، وكانت له لمحة واضحة في الأصوات الساكنة من حيث مخارجها

(1) -كمال بشر: علم الأصوات، 190.

(2) -المرجع نفسه، ص142.

(3) -المرجع نفسه، ص 143.

وصفاتها كما تعرض إلى أصوات اللين في اللغة العربية مؤكدا قوله بأن من "نتائج تحليل المحدثين للأصوات اللغوية أن قسموها إلى قسمين رئيسيين سموا الأول منها Consonants والثاني Vowels ويمكن تسمية القسم الأول بالأصوات الساكنة والثاني بأصوات اللين وأساس هذا التقسيم عندهم هو الطبيعة الصوتية لكل من القسمين"[1]، وأشار إلى أن "أصوات اللين في اللغة العربية هي ما اصطلح القدماء على تسميته بالحركات من فتحة وكسرة وضمة وكذلك ما يسموه بالألف اللينة والياء اللينة والواو اللينة وما عدا هذا فأصوات ساكنة"[2]، كما أشار كذلك أن القدماء لم يهتموا بهذا الصنف من الأصوات فيوضح قائلا: "أصوات اللين مع أنها عنصر رئيسي في اللغات ومع أنها أكثر شيوعا فيها لم يُعْنَ بها المتقدمون من علماء العربية فقد كانت الإشارة إليها دائما سطحية"[3]، ثم إن الدارس لكتاب الأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس يجد أن هذا الأخير يتطرق أحيانا إلى الاختلاف الظاهر بين فئة القدماء والمحدثين، مثلا أشار إلى صفات الأصوات كالشدة، والرخاوة التي أصبح يطلق عليها في العصر الحديث بمصطلحين جديدين فيقول: "هذا النوع من الأصوات الانفجارية هو ما اصطلح القدماء على تسميته بالصوت الجديد، وما يسميه المحدثون انفجاريا"[4]، أما عن الصوت الرّخو فيقول: "اصطلح القدماء على تسميته بالصوت الرّخو وهذه الأصوات يسميها المحدثون بالأصوات الاحتكاكية"[5].

من المواضيع الملفتة للنظر أيضا أن "إبراهيم أنيس" في مُؤلفه تحدث عن بعض الحروف كيف كانت، وكيف أصبحت، فلحقها من جرّاء ذلك تغيير في الصفة، فيقول في هذا الصدد أن تطور بعض الحروف الضاد والقاف والطاء، وانتقال مخرج الضاد إلى الدال وأصبحنا لا نفرق بين الدال والضاد إلا في الإطباق، وكذلك القاف والطاء القديمتين قد

(1) –إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص27.

(2) –المرجع نفسه، ص29.

(3) –المرجع نفسه، ص38.

(4) –المرجع نفسه، ص24.

(5) –المرجع نفسه، ص25.

أصبحتا مهموستين في نطقنا الحديث بعد أن كانتا مجهورتين، وقد تطورت كذلك الجيم العربية إلى الجيم القاهرية الخالية من التعطيش، أو الجيم الشامية الشديدة التعطيش وليس هذا ما يبرره سوى انتقال المخرج من مكانه[1].

وبرر هذا التطور أنه يرجع إلى نظرية السهولة التي نادى بها الكثير من المحدثين والتي تشير إلى أن الإنسان في نطقه يميل إلى الأصوات السهلة التي لا تحتاج إلى جهد عضلي"[2].

ويعد "إبراهيم أنيس" من بين المحدثين أيضا الذين فصلوا في أعضاء النطق البشري وهذا باختصار الجهاز الصوتي كما أشار إليه إبراهيم أنيس[3]:

أ. القصبة الهوائية، ب. موضع الوترين الصوتيين، ج. فتحة المزمار، د. الحلق، هـ. اللسان أقصاه، وسطه وطرفه، و. الحنك الأعلى أقصاه، وسطه وأصول الثنايا، ذ.الأسنان: عليا وسفلى، ح. الشفتان: عليا وسفلى.

ومما يُلفت الانتباه كذلك في هذا الكتاب أنه درس كل حرف على حدا، سواء من ناحية المخرج أو الصفة أو حتى بعض المظاهر الصوتية في حين نجد القدماء لم يتعرضوا لدراسة كل صوت على حدا إلا ما كان مشهورا منها، وكان ترتيبهم للحروف ترتيبا تصاعديا من أقصى الحلق وصولا إلى الشفتين، إلا أن "إبراهيم أنيس" في كتابه هذا كانت له وجهة خاصة حيث انطلق في ترتيبه للأصوات من الشفتين وصولا إلى أقصى الحلق، وهذا ما يبينه المخطط في الصفحة الموالية[4]:

(1) –إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص135.

(2) –المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(3) –المرجع نفسه، ص17.

(4) –المرجع نفسه، ص ص47– 77.

أ. الأصوات
- الباء ← صوت مجهور
- الميم ← صوت مجهور لا هو شديد ولا هو رخو

ب. الصوت الشفوي الأسناني ← الفاء ← صوت رخو مهموس

ج. المجموعة الكبرى من الأصوات المتقاربة المخرج

الذال، التاء، الظاء، الدال، الضاد، الثاء، الطاء، اللام، النون، الراء، الزاي، السين، الصاد

الأصوات
- الذال ← صوت رخو
- الظاء ← صوت مجهور
- الثاء ← صوت مهموس

الأصوات
- الدال ← صوت شديد مجهور
- الضاد ← صوت شديد مجهور
- التاء ← صوت شديد مهموس
- الطاء ← صوت شديد مهموس

الأصوات
- اللام ← صوت بين الشدة والرخاوة وهي مجهورة
- الراء ← صوت متوسط بين الرخاوة والشدة وهي مجهورة
- النون ← صوت متوسط بين الشدة والرخاوة

الأصوات
- السين ← صوت رخو مهموس
- الزاي ← صوت رخو مجهور
- الصاد ← صوت رخو مهموس

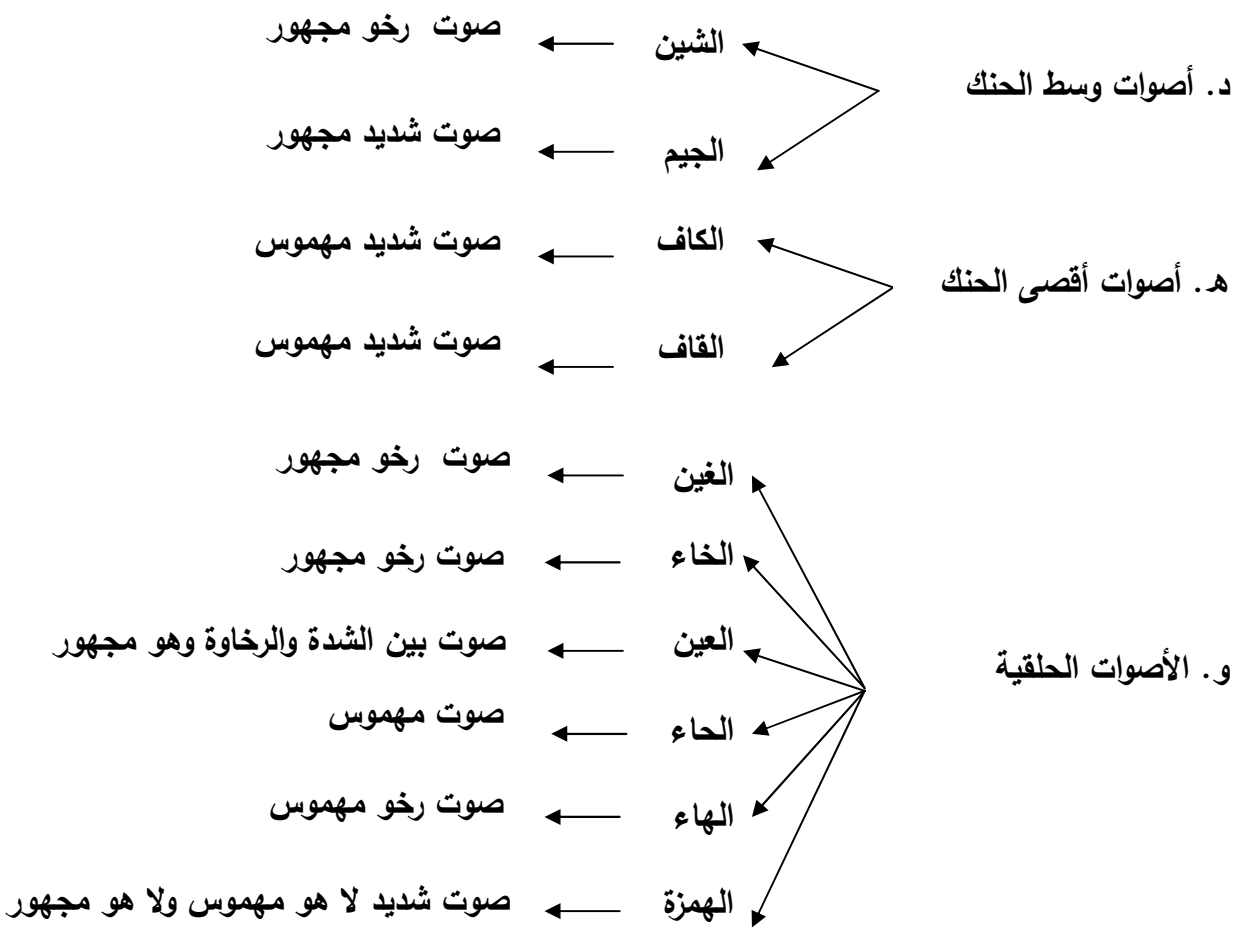

كما عُرف "أحمد مختار عمر" في مجال الدراسات الصوتية الحديثة بكتابه المشهور "دراسة الصوت اللغوي"، حيث تناول في هذا الأخير علم الأصوات الأكوستيكي، وتطرق فيه إلى مصدر الصوت، وقياس التردد، كما تناول علم الأصوات السمعي، وعلم الأصوات التجريبي، وتحدث عن الفنولوجيا والمورفولوجيا، وكذا أشار إلى الأجهزة الصوتية الحديثة من بينها:

1. الآلات الآكوستيكية Acoustical Instrumentsnts
2. الآلات الفيسيولوجية Physiological Instruments
3. آلات إنتاج الأصوات الصناعية Artificial Talking Devices"[1].

(1) –أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي، ص54.

ولم يقتصر الدرس الصوتي الحديث على الدارسين المذكورين آنفا، بل هناك طائفة هي الأخرى أفردت كتبا مستقلة في دراسة الصوت نذكر من بينها: "حازم كمال الدين" في كتابه "دراسة في علم الأصوات"، "خليل إبراهيم عطية" في "البحث الصوتي عند العرب" و"غانم قدوري الحامد" في كتابه "مدخل إلى علم أصوات العربية"، وغيرهم من الباحثين الذين كانت لهم بصمة واضحة في الصوتيات.

ونخلص إلى أن اللغويين المحدثين قد أحدثوا قفزة بارزة في مجال الأصوات؛ إذ فرقوا بين مجموعة من المفاهيم التي كانت غامضة في كتب القدماء كالفرق بين الصوت والحرف مثلا، وبتطور أصوات اللغة العربية برز اختلاف مخارج الأصوات، وصفاتها وربما كان الدافع الأساسي أيضا التقدم العلمي والتطور التكنولوجي الذي برز في نطاقه ظهور كم هائل من الأجهزة التي بفضلها استطاع المحدثون دراسة أصوات اللغة العربية منفردة، وبيان مخارجها وصفاتها، وكذا دراسة أعضاء النطق البشري بالشرح والتحليل والتفسير والتفصيل.

الفصل الثانـي

المباحث الصوتية عند الجاحظ

أولا: الصوت وأعضاء النطق

1. مفهوم الصوت عند الجاحظ
2. أعضاء النطق ووظائفها النطقية عند الجاحظ
3. الخصائص الفيزيائية عند الجاحظ

ثانيا: الظواهر الصوتية في رحاب الدراسات اللغوية عند الجاحظ

1. اللهجات العربية واللسانيات الجغرافية
2. شرف الفصاحة في رقي العملية التواصلية
3. الدلالة الصوتية في قالب الأداء اللغوي

أولا. الصوت وأعضاء انطق:

1.مفهوم الصوت عند الجاحظ:

إن ثقافة "الجاحظ" الواسعة والمتعددة المشارب جعلته يستوعب ثقافة عصره ثم يتناولها بالدراسة والتحليل، فكانت له نظرية في الأدب ونظرية في البلاغة وحتى نظرية في اللسانيات التي باتت أسسها من دعائم اللسانيات الحديثة مما جعله جسراً يربط بين القديم والحديث، وهذا كان واضحا في علم الأصوات فقد جاء بمفاهيم ومصطلحات توارثتها فيما بعد الدراسات اللسانية الحديثة؛ حيث تجلّت عبقرية الجاحظ في دراسته للصوت أنه ركّز على وظيفة الفونيم داخل التركيب، ودوره في الصياغة اللغوية، وكذا علاقة الأصوات ببعضها كما أنه أشار إلى أن الحدث الكلامي لا يتحقق إلا بوجود شروط ساهمت في إصداره، وهذا ما وضّحه في تعريفه للصوت أنه: "آلة اللفظ وهو الجوهر الذي يقوم به التقطيع وبه يوجد التأليف. ولن تكون حركات اللسان لفظا ولا كلاماً مَوزونا ولا منثورا إلا بظهور الصوت ولا يكون الحروف كلاما إلا بالتقطيع والتأليف"[1].

فانطلاقا من هذا المفهوم يتضح أن الأصوات عند الجاحظ لا تؤلف عشوائيا، أو تنطق جزافاً بل لابد من ترتيب وتأليف، مع مراعاة العلائق الموجودة بين الأصوات؛ لأن اللفظ يتكون من سلسلة من الأصوات تكون مرتبة ومتناسقة ومنتقاة لأنها تختلف فيما بينها من حيث الصفات، والوظيفة داخل التركيب، وهذا ما أكده أحد الدارسين موضحا مميزات الأصوات واختلافها عن بعضها، ودورها عند تمازجها في الحدث الكلامي فيقول: "وتمتاز الأصوات من بعضها بدرجات الفخامة، واللين، والامتداد والجهارة والخفوت التي تكون عليها وقد تمتزج فئات من الأصوات فيتولد عن تمازجها جملة صوتية قد تطول أو تقصر. ويتنوع

(1) –أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق درويش جويدي، ج1، دط، المكتبة العصرية صيدا، بيروت، 2003م، ص58.

بناء الجملة الصوتية بتنوع الأصوات المكونة له، والتركيبة التي تتصاغ فيها"[1] فبطريقة الصناعة اللفظية "تظهر أهمية النطق بالكلام حتى يُسمع، فإن ذلك يساعد على تمثل المعنى، كما أنه يفجّر الطاقات الصوتية الكامنة في الألفاظ والتي قد نتصور معانيها من نطقها أو نستشعر ظلالا تحوم حولها وخصوصاً إذا أدّينا الإلقاء حقّه"[2].

يتضح مما سبق أن "الجاحظ" أشار إلى كيفية الصياغة اللغوية حتى يتحقق الحدث الكلامي، وتنجح العملية التواصلية، ومن هنا تكون نظرة "الجاحظ" للغة انطلاقا من معالجته لماهية الصوت لا تبتعد كثيرا إلى ما وصلت إليه اللسانيات الحديثة، وهذا ما ذهب إليه واحد من اللسانيين قائلا إنّ: "تصور الجاحظ للغة لا يختلف كثيرا في شكله ومضمونه عمّا وصلت إليه الدراسات اللسانية الحديثة، وأساس هذا التصور أربع دعائم: الصوت والتقطيع والتأليف والفصاحة"[3].

(1) –نعيم علوية: بحوث لسانية بين نحو اللسان ونحو الفكر، ط2، المؤسسة الجامعية الدراسات والنشر والتوزيع، 1886م، ص09، 10.

(2) –محمد إبراهيم شادي: البلاغة الصوتية في القرآن الكريم، ط1، الشركة الإسلامية للإنتاج والتوزيع والإعلان، الرسالة، 1988م، ص10، 11.

(3) –محمد الصغير بناني: النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين، دط، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1994م، ص109.

2.أعضاء النطق ووظائفها النطقية عند الجاحظ:

كان للجاحظ التفاتة جديرة بالذكر في مجال علم الأصوات النطقي، وكذا علم الأصوات الفيزيائي، فقد أشار إلى دور بعض أعضاء النطق في العملية الكلامية، وكذا دور بعض الأعضاء في تحديد مخارج بعض الحروف ومن تلك الأعضاء نذكر:

– دور الأسنان في عملية النطق:

بين الجاحظ أهمية الأسنان في إنتاج الحدث الكلامي وذلك من خلال تطرقه إلى جملة من الخطباء الذين على دراية كافية بأهمية الأسنان أثناء التلفظ بالأصوات؛ لأنه متى نقصت كان هناك خلل في العملية النطقية ومن هنا أشار الجاحظ أن "عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال في سهيل بن عمرو الخطيب: يا رسول الله اِنزع ثنيته السفليين حتى يدلع★ لسانه فلا يقوم عليك خطيبا أبدًا"[1]، لأنه متى نُزعت بعض أسنان المتكلم أو سقطت ربما يعاب بأحد أمراض الحروف فلا يستطيع أن يعطي لكل حرف حقه من المخرج المناسب له ولا يستطيع بذلك أن يؤثر في السامع ونظرا لأهمية هذه الأعضاء في العملية الكلامية قال "الجاحظ" أن بعض الجهابذة "قالوا لم يتكلم معاوية على منبر جماعة منذ سقطت نيابه في الطمس"[2].

كما أشار صاحب البيان والتبيين أن هناك من الراسخين في العلم من يرى أنه لو نُزعت جميع أسنان الخطيب لكان أصلح في الإبانة، وأفضل من أن تُنزع أحد أسنانه، يقول في هذا الرأي "وقال محمد بن عمرو الرومي مولى أمير المؤمنين: وقد صحت التجربة وقامت العبرة على أنّ سقوط جميع الأسنان أصلح في الإبانة عن الحروف منه إذا سقط أكثرها وخالف أحد شطريها الشطر الآخر"[3].

★ –يدلع: يخرج.

(1) –الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص46.

(2) –المصدر نفسه، ج1، ص 47.

(3) –المصدر نفسه، ج1، الصفحة نفسها.

كما نوّه الجاحظ على دور اللثة في اتحادها مع اللسان في تحقيق العملية النطقية فيقول: "وقال أهل التجربة: وإذا كان في اللحم الذي فيه مغارز الأسنان تشمير★ وقصر سمك★★ ذهبت الحروف وفسد البيان وإذا وجد اللسان من جميع جهاته شيئا يقرعه ويصكّه★★★ ولم يمر في الهواء واسع المجال وكان لسانه يملأ جوب فمه لم يضره سقوط أسنانه إلا بالمقدار المفتقر والجزء المحتمل"[1].

تأييدا لفكرة الجاحظ في دور الأسنان في عملية النطق، ذهب "سمير الشّريف استيتيه" ا مُشيرا إلى تأثير لون الأسنان في درجة الصوت، وأثر المستوى العمري في الحدث الكلامي؛ حيث رأى أن الأسنان الناصعة البياض أقل من الأسنان غير الناصعة على امتصاص الأصوات، فإن الأصوات اللينة أكثر قدرة على امتصاص الأصوات من الأسنان الناضجة التي عند الكبار، وهذا من الأسباب التي جعلت أصوات الأطفال غير ناضجة[2]، وبهذا يكون "الجاحظ" قد توسع في جوانب بعض أعضاء النطق، ودرجة تمحيصه جعلته يدرك أن للجهاز الصوتي أعضاء ثابتة، وأخرى متحركة أسهمت في إنتاج الصياغات اللغوية ذات الدلالات المختلفة.

- **دور اللسان في عملية النطق:**

يعد اللسان البشري من أهم أعضاء الجهاز الصوتي في العملية النطقية، ونظرا لدوره في الحدث الكلامي نجد كثيرا من الدارسين الغويين القدماء، والمحدثين قد درسوه وبحثوا فيه في دراساتهم اللغوية، وكان من بين هؤلاء "الجاحظ" الذي استند في تبريره لأهمية اللسان إلى مصادر اللغة الرئيسة التي ترجع إليها جل الدراسات اللغوية "القرآن الكريم، الحديث النبوي

★ –تشمير: التقلص.

★★ –سمك: الارتفاع.

★★★ –صكّ: اصطدم

(1) –الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص 47، 48.

(2) –سمير شريف إستيتيه: الأصوات اللغوية رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية، ط1، دار وائل للنشر والتوزيع، 2003م، ص39.

الشريف، كلام العرب" فقد أشار إلى أن الله سبحانه وتعالى "يبغض الرجل يتخلل بلسانه كما يتخلل البَاقرَة★ الخلى★★ بلسانها. قالوا: ويدل ذلك على قول حسان بن ثابت حين قال لو النّبي صلى الله عليه وسلم: ما بقي من لسانك؟ فأخرج لسانه حتى قرع بطرفه طرف أرنبته★"[1] فالرسول الأعظم كان يدرك أهمية اللسان البشري في النطق وما له من أهمية كذلك في التباين اللغوي وفي هذه الفكرة يقول واحد من الدارسين أن "اللسان أهم عضو في الجهاز الصوتي كله فبأوضاعه المختلفة التي يتخذها أثناء التكلم تتباين الأصوات اللغوية وتتمايز"[2].

وبالإضافة إلى دور اللسان البشري في العملية تعرّض "الجاحظ" إلى أهمية اللسان عند الحيوان، ووظيفته في إنتاج الأصوات، وكذا تطرّق إلى حجم اللسان الذي ربطه بمقياس الفصاحة والتباين، وفي هذا الصدد يقول: "الطائر والسبع والبهيمة كلما كان لسان واحد منها أعرض كان أفصح وأبين وأحكى لما يلقن، ولما يسمع كنحو الببغاء والغُداف والغراب البيّن وما أشبه ذلك وكالذي يتهيأ من أفواه السنانير إذا تجاوبت مع الحروف المقطعة المشاركة لمخارج حروف"[3].

يبدو من خلال ما جاء به "الجاحظ" أنه كان على دراية تامة بأهمية اللسان البشري في عملية النطق وما له من دور في تمايز الأصوات فيما بينها، ودرجة تأثيرها في السامع كما أشار كذلك "الجاحظ" أن للسان أشكالا متعددة تتفاوت فيما بينها في إنتاج الأصوات مع بيان درجة فصاحتها ووضوحها.

★ –الباقرة: جمع واحدة بقرة.

★★ –الخلى: الطري من النبات.

★ –طرف أرنبته: طرف أنفه.

(1) –الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص49.

(2) –محمد الأنطاكي: المحيط في أصوات العربية نحوها وصرفها، ج1، ط3، دار الشرق العربي، بيروت، شارع سورية، ص12.

(3) –المصدر السابق ، ج1، ص48.

- **دور النفس في عملية النطق:**

يعد الجاحظ من العلماء السّبّاقين الذين تناولوا الدراسات الصوتية من جانبها الفيزيائي وذلك حينما أشار إلى وظيفة النفس وكيفية مشاركته في إصدار الصوت فيقول: "الأنفاس مقسومة على المنخرين فحالا يكون الاسترواح ودفع البخار من الجوف من الشق الأيمن وحالا يكون من الشدق الأيسر، ولا يجتمعان على ذلك في وقت إلا أن يسكره ذلك مستكره أو يتكلّف متكلّف فأمّا إذا ترك أنفاسه على سجيتها لم يكن إلا كما قالوا"[1].

انطلاقا من هذه الفكرة فإن للنفس دور فعال في عملية النطق خاصة إذا كان الإنسان في حالته الطبيعية، كما أنه مهم في التمييز بين الأصوات، من خلال صفاتها وذلك في اتحاده مع بقية الأعضاء النطقية مثلا كأن يكون "اتصال الأسفل★ بالأعلى محكما، لا يسمح للهواء بالخروج من الفم فيأخذ طريقه في الأنف وبذلك تنتج الميم والنون أشكالها"[2].

إضافة إلى ما جاء به الجاحظ في علم الأصوات النطقي، تناول أيضا وظيفة بعض الأعضاء في تحديد مخارج الأصوات، فقد أشار إلى مخرج الصاد عند الشخص الذي يحمل بالشق الأيمن، أو الشخص الذي يعمل بالشق الأيسر، أو حتى الشخص الذي يعمل بالشق الأيمن والأيسر ففي هذا الصدد يقول:" فأما مخرج الضاد فليس تخرج إلاّ من الشدق الأيمن إلاّ أن يكون المتكلم أعسر يسراً★★ مثل عمر بن الخطاب رضي الله عنه كأن يخرج الضاد من أي شدقيه شاء. فأما الأيمن★ والأعسر★★والأضّبط★★★. فليس يمكنهم ذلك إلاّ باستكراه شديد"[1].

---

(1) –الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص48.

★ –الأسفل: قد يكون اللسان أو الشفة.

(2) –عبد الصبور شاهين: المنهج الصوتي للبنية العربية رؤية جديدة في الصرف العربي، دط، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1980م، ص27.

★★–الأعسر يسراً: هو من باستطاعته العمل بكلتا يديه.

★ –الأيمن: هو من يعمل بيده اليمنى.

كما أشار "الجاحظ" إلى مخرج كلاّ من الحرفين الميم، والفاء سواءّ أكان صدورهما من جهاز النطق البشري، أم جهاز النطق الحيواني فيقول: "فأما الغنم فليس يمكنها أن تقول أن تقول "ماء" والميم والباء أوّل يتهيأ في أفواه الأطفال كقولهم: ماما بابا لأنهما خارجان من عمل اللسان، وأنهما يظهران بالتقاء الشفتين"[2]، فهو في هذا الرأي لمح إلى أن جهاز النطق عند الصغار يختلف عن جهاز النطق عند الكبار، ربما يرجع هذا الاختلاف إلى أن جهاز النطق عند الصغار، غير مهيأ لإصدار الأصوات من مخارجها، على خلاف جهاز النطق عند الكبار، وكذا عملية إنتاج الأصوات اللغوية عند الشاب، تختلف عن إنتاجها عند الشيخ الهرم، إلى غيرها من الفروق الفردية، والمستويات العمرية، وبهذا يكون الجاحظ قد تطرق إلى العملية الفيزيائية الفيزيولوجيا في الجهاز النطقي.

3.الخصائص الفيزيائية للصوت عند الجاحظ:

كان "للجاحظ" رؤية فيزيائية للأصوات من بينها خاصيّة العلو؛ أي جهارة الصوت وارتفاعه حيث ترتبها تلك الخاصية بشدة الصوت، "والشدّة تعرف بأنها المعدل الزمني لتدفق الطاقة الصوتية خلال وحدة المساحة، والعلو يتوقف على تأثير شدة الصوت في أذن السامع ويزداد العلو بازدياد شدته"[3] فقد أشار الجاحظ إلى أن لدرجة الصوت أثر في تبليغ المعنى وتحقيق الأثر، والتأثير أثناء التواصل؛ لأنه متى كان الصوت مجهوراً مرتفعا واضحا كان أكثر تأثيرا في المستمع، وهذا ما أكده الجاحظ قائلا: "كان العباس بن عبد المطلب جهير

★★ –الأعسر: هو من يعمل بيده اليسرى.

★★★ –الأضبط: الأعسر اليسر.

(1) –الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص48.

(2) –المصدر نفسه، ج1، ص48.

(3) –أمجد عبد الرزاق: الصوت والحركة الموجبة، دط، دار الكتب للطباعة، وزارة التعليم العالي، الموصل، 1987م، ص188.

الصوت وقد مدح بذلك، وقد نفع الله المسلمين بجهارة صوته يوم حُنين حين ذهب الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتراجع القوم وانزل الله عز وجل النصر وأتى بالفتح"[1].

فالصوت إذن وسيلة من وسائل تبليغ الدعوة، وقد جاء "الجاحظ" بشواهد شعرية لشعراء أيدهم في فكرة جهارة الصوت وفي ذلك يقول العُجِيرْ السلولي★ في شدة الصوت ووقعه فيقول:

لَو أَنَّ الصُّخُورَ الصُمُّ يَسمَعنَ صَلقَنَا★★ ** ** لَرُحنَ وَفي أَعرَاضِهِنَّ فُطُورُ★★★ [2]

كما قال بشار بن برد في شدة الصوت يهجو بعض الخطباء:

وَمِنْ عَجَبِ الأَيَّامِ أَنْ قُمْتَ نَاطِقًا ** ** وأنتَ ضَئِيلُ الصَّوْتِ مُنْتَفِخ السحر[3]

من هنا يلاحظ أن لدرجة الصوت دور في العملية التبليغية ولم تتوقف أهمية الصوت عند هذا الحد بل أصبح كأساس للحصول على منصب ورئاسة وفي هذا الصدد يروي لنا الجاحظ قصة حدثت بين فتى من النصارى وبين ابن فهريز "فقال له الفتى: ما ينبغي أن يكون في الأرض رجل واحد أجهل منك وكان ابن فهريز في نفسه أكثر الناس علمًا وأدبًا وكان حريصًا على الجثلقة، فقال للفتى: وكيف حللت عندك هذا المحل؟ قال: لأنك تعلم أنّا لا نتخذ الجاثليق إلا مديد القامة وأنت قصير القامة ولا نتخذ إلا جهير الصوت جيد الخلق وأنت دقيق الصوت رديء الخلق"[4].

---

(1) – الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص83.

★ –السلولي: هو العجير بن عبد الله بن عبيدة بن كعب، من بني سلول قيل اسمه عصير ولقبه عجير مات نحو 90هـ نحو 708م.

★★ – الصلق: شدة الصوت

★★★ – فطور: شقوق

(2) –الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص84.

(3) –المصدر نفسه، ج1، الصفحة نفسها.

(4) – المصدر نفسه ، ج1، ص84.

وهناك من ذاع صيته بسبب جهارة الصوت ومن بين هؤلاء "أبو عروة الذي يقال له أبو عروة السباع يصيح بالسبع وقد احتمل الشاة فيخليها ويذهب هاربا على وجهه"[1] فضرب به الشاعر المثل وهو النابغة الجعدي فقال:

وازجُرُ الكاشح العدو إذا اُغتا * بك عندي زجراً على أضم**

زَجْرَ أبي عروة السَبَّـاعَ إذا * أشْفَقَ أن يَلْتَبسْنَ بالنَّغَمِ[2]**

ويعد كذلك "شبيب بن زيد بن نعيم" ممن اشتهر بجهارة صوته في جنبات الجيش فقال الشاعر فيه:

إنْ صَاحَ يَوْمًا حَسِبْتَ الصَّخْرَ مُنْحَدِرًا * والريح عاصفة والمَوْجَ يلتطِمُ**

يتضح أن الجاحظ ركّز على المتلقي في هذه الخاصية الفيزيائية واعتبر علو الصوت وجهارته له تأثير في أذن السامع وبهذا يتسنى للمتكلّم إيصاله الرسالة وتبليغ الدعوة، وكذا يستطيع الحصول على مكانة في المجتمع ويذيع صوته بين الناس.

ثانيا. الظواهر الصوتية في رحاب الدراسات اللغوية عند الجاحظ:

1. اللهجات العربية واللسانيات الجغرافية:

يمكن للمرء بشيء من التأمل أن يدرك الفرق بين فرد من مجتمع وفرد من مجتمع آخر من مجتمع آخر في طريقة الكلام، وذلك تبعا للبيئة الاجتماعية وكذا الخلفية الأسرية التي ترعرع فيها وطبع لسانه فيها، وهذه القضية أطلق عليها علماء اللغة والأدب بقضية اللهجات واللّهجة هي "مجموعة من الصفات اللغوية التي تنتمي إلى بيئة خاصة ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة"[3] وللوقوف على الاختلاف اللهجي الحاصل بين أفراد

(1) – الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص86.

(2) – المصدر نفسه، ج1، الصفحة نفسها.

(3) –إبراهيم أنيس: في اللهجات العربية، دط، مكتبة أنجلوالمصرية، القاهرة، 2003م، ص15.

البيئات المختلفة دُرست اللهجة من مختلف جوانبها بما فيها العوامل المساعدة على التباين اللغوي؛ إلا أن مصطلح "لهجة" لم يكن موجودا في بطون كتب الدارسين القدماء، بل اعتبروا هذه الاختلافات هي عبارة عن لغات، ولم يفرد الدارسون القدماء كتبا مستقلة تدرس اللهجات من حيث خصائصها، ومميزاتها، والعوامل المؤثرة فيها والقبائل التي نُسبت إليها، وإنما مروا عليها أثناء دراستهم للغة الفصحى، وتنقيتها من كل ما هو دخيل، فقد كان القدماء "يطلقون على اللهجة (لغة) أو (لغية) وأصل ذلك راجع إلى أنهم لم يتوفّروا على دراسة لهجة كاملة من لهجات القبائل التي يتكلّمها الناس في حياتهم العادية، بل كل ملاحظاتهم إنما تنصب على هذه الفروق اللهجية التي دخلت الفصحى"[1]، وهكذا يتضح أن العلماء القدماء عند استعمالهم اللغة مكان لهجة لا يعني أن اللغة واللهجة مصطلحان لمعنى واحد، وإنما هناك فرق بين اللهجة واللغة "فتلك البيئة الشاملة التي تتألف من عدة لهجات هي التي اصطلح عليها باللغة. فالعلاقة بين اللغة واللهجة هي العلاقة بين العام والخاص، فاللغة تشترك في مجموعة من الصفات اللغوية والعادات الكلامية التي تؤلف لغة مستقلة عن غيرها من اللغات"[2] فكان من بين الدارسين الذين أولوا اهتماما لهذه القضية –قضية اللهجة– هو "الجاحظ" الذي استطاع أن يكتشف مظاهر الاختلاف بين اللهجات المختلفة حيث يقول: "القضية مقصورة على هذه الجملة من مخارج الألفاظ وصور الحركات والسكون"[3]، ومن ثمّ يظهر أن الاختلاف يكاد ينحصر في الأصوات وطبيعتها، وكيفية صدورها وقد يظهر الاختلاف كذلك في بنية الكلمة ونسجها أو معاني بعض الكلمات[4] وبهذا يكون "الجاحظ" قد أشار إلى أن التباين اللهجي يكمن في مخارج الكلمات، وما يتبعها من حركات (فتحة ضمة، كسرة، سكون) وقد علّل "الجاحظ" الاختلاف اللهجي استنادا إلى جملة من العوامل

(1) –عبده الراجحي: اللهجات العربية في القراءات القرآنية، دط، دار المعرفة الجامعية للنشر والطبع والتوزيع، 1996م، ص50.

(2) –إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، ص15.

(3) –الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص53.

(4) –محمد رياض كريم: المقتضب في لهجات العرب، دط، التركي للكمبيوتر وطباعة الأوفيست، طنطا، 1996م، ص55.

من بينها الإقليم والمحيط، وهذا لأن عرب الشمال في نطقهم لبعض الحروف يختلفون مثلا عن عرب الجنوب، وذلك تبعا للظروف المناخية، وكذا البيئة الاجتماعية ممّا نتج عن ذلك اشتهار بعض القبائل باستعمالهم حروفا، وكذا غياب بعض الحروف في كلامهم، وفي ذلك يقول "الجاحظ" :"ولكل لغة حروف تدور في أكثر كلامهم كنحو استعمال الروم للسين واستعمال الجرامقة للعين. قال الأصمعي وليس للروم ضاد ولا للفرس ثاء ولا للسريان دال"[1]، فمن خلال ما قدمه الجاحظ يلاحظ أنه أشار إلى ظواهر لغوية أبرزها ما يتعلق بالجانب الصوتي كظاهرة إبدال الحروف، وكذا الحركات وتأييدا لفكرة الجاحظ نجد أن هناك من الدارسين من أشار إلى بعض الظواهر اللهجية المتفشية في أوساط القبائل العربية القديمة من بينها[2]:

العنعنة: إبدال العين من الهمزة كقولك: "عن" وتريد "أن" وقد نسبت هذه الظاهرة إلى قبيلة تميم وقيس وأسد وما جاورهم.

الكشكشة: يجعلون بدل كاف الخطاب في المؤنث شينا كقولك: رأيتكِشْ، عَلَيْكِشْ وتريد رأيتُكِ، عليكِ، وقد نسبت هذه الظاهرة إلى قبيلة ربيعة ومضر.

الوتم: إبدال السين تاء كقولك "النات" تريد "الناس"، وقد نُسبت هذه اللغة إلى أهل اليمن.

التلتلة: كسر أول حروف أفعال المضارعة كقولك "تِعلمون"، وقد نُسبت هذه الظاهرة إلى بهراء.

كما أن العادة في استعمال الحروف تبقيها على سجيتها لأن الفرد قد طبع لسانه في بيئته الاجتماعية، وفي هذا الرأي يقول الجاحظ: "ألا ترى أن السندي إذا جُلبَ كبيراً فإنه لا يستطيع إلا أن يجعل الجيم زايَا، ولو قام في علياء تميم وسفلى قيس وبين عجزوهوازن خمسين عاما، وكذلك النبطي القح يجعل الزاي سيناً، فإذا أراد أن يقول: زورق قال: سورق

(1) – الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص49.

(2) –محمد رياض كريم: المقتضب في لهجات العرب، ص ص143 – 149.

ويجعل العين همزة، فإذا أراد أن يقول مشعل قال: مشئل"[1]، وبهذا يكون "الجاحظ" قد ربط مصطلح الصوت باللسانيات الجغرافية واعتبر هذه الأخيرة من ضمن العوامل المساعدة على التباين اللغوي باعتبار أن أفراد تلك البيئة يتأثرون بالإقليم الجغرافي وكذا المستوى الطبقي الذي يحتك به وبذلك يتعوّد اللسان على النطق بمخارج الألفاظ كما طُبع عليها وفي هذا الشأن يقول الجاحظ: "فأما حروف الكلام فإن حكمها إذا تمكنت في الألسنة خلاف هذا الحكم"[2].

ثم يضيف "الجاحظ" عاملا آخرا أسهم في الاختلاف اللهجي؛ ألا وهو الطبقات الاجتماعية فيقول في هذا الصدد: "وأما العوام من أهل ملتنا ودعوتنا ولغتنا وأدبنا وأخلاقنا فالطبقة التي عقولها وأخلاقها فوق تلك الأمم ولم يبلغوا منزلة الخاصة من علة أن الخاصة تتفاعل في الطبقتان أيضا"[3]، وفي تفصيل شامل يمكن أن نعزو أسباب نشوء اللهجات إلى:

- **أسباب جغرافية:** إذا كان أصحاب اللغة الواحدة يعيشون في بيئة جغرافية واحدة تختلف فيها الطبيعة من مكان إلى آخر، فأهل البيئة الزراعية المستقرة تختلف لهجتهم عن أهل البيئة الصحراوية؛ لأن هناك انعزال بين الناس.
- **أسباب اجتماعية:** المجتمع بطبقاته المختلفة بما فيها طبقات المهن يؤثر في وجود اللهجات.
- احتكاك اللغات واختلاطها نتيجة غزو، أو هجرات أو تجاور.
- **أسباب فردية:** يمكن أن يتحقق ذلك في الطفل الصغير كأن يقول: أحمرة، أخضرة في مؤنث أحمر وأخضر، فإذا عاش الطفل بمعزل عمّن يقوّم له لسانه كانشغال الآباء في طلب الرزق، أو في الحروب فتصبح حينئذٍ عادة لهجية.

(1)- الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص53.

(2)- المصدر نفسه، ج1، الصفحة نفسها.

(3)- المصدر نفسه، ج1، ص91.

بعد هذا الوصف الكاشف عن ماهية اللهجات والخوض في عوامل التمايز تبين أن مظاهر الاختلاف اللهجي في جانبه الصوتي يمكن حصره في النقاط الآتية[1]:

- الاختلاف في مخرج بعض الأصوات اللغوية.
- الاختلاف في وضع أعضاء النطق مع بعض الأصوات.
- الاختلاف في مقياس بعض أصوات اللين.
- التباين في النغمة الموسيقية للكلام.
- الاختلاف في قوانين التفاعل بين الأصوات المتجاورة حيث يتأثر بعضها ببعض.

مجمل القول أنّ "الجاحظ" عدّ اللّهجات لُغات تحتوي على جملة من الصفات اللغوية تختلف تبعا لاختلاف البيئات الجغرافية، والطبقات الاجتماعية، وكذا العادات الكلامية وبفكر الجاحظ الواسع وتشبعه الثقافي وخبرته الواسعة، استطاع أن يكشف عن مظاهر الخلاف اللهجي كظاهرة الإبدال في الحروف، والحركات وكذا الاختلاف في مخارج الألفاظ.

1.شرف الفصاحة في رقي العملية التواصلية

تدفعني الواقعية والأمانة العلمية إلى الاعتراف بأن "الجاحظ" من الراسخين في العلم في زمانه، فدرجة التمحيص والتتبع جعلته يفرق بين الأصوات التي تنفر من بعضها، إذا تجاوزت مما يؤدي ذلك إلى استكراه في النطق، فحسن انتقاء الأصوات التي تتلاءم فيما بينها تعطي اللفظ درجة من الفصاحة والجودة، فقد أشار "الجاحظ" في إطلالة سريعة إلى بعض الحروف التي تنفر من بعضها إذا اجتمعت في اللفظ فيقول: "فأما افتراق الحروف فإن الجيم لا تقارن الظاء ولا القاف ولا الطاء ولا الغين بتقديم ولا تأخير[2].

(1) –إبراهيم أنيس: في اللهجات العربية، ص17.

(2) –الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص52.

وذلك لأن حرف الجيم والطاء والقاف والظاء والغين حروف مجهورة وسميت بذلك لضيق مخرجها فلم تسمع لها صوتا[1]. وهذا ما عاب عليه "الجاحظ" الخطباء فيقول في هذه الفكرة: "وأعيب عندهم من دقة الصوت وضيق مخرجه وضعف قوته"[2] كما يلاحظ كذلك أن الجيم والطاء والقاف والغين من الحروف الشديدة المفخمة استنادا إلى رأي "ابن دريد" الذي يقول: "والحروف الشديدة: الطاء والشين وغيرها تقدر أن تشده إذا لفظت"[3] ومن ثم لا يستطيع المتكلم أن يتلفظ بالحرفين متتاليين في لفظ واحد إلا ببعض الاستكراه؛ لأنهما من جنس واحد، هذا من حيث القيمة الصوتية وصفات المخرج بالنسبة لأخواتها الحروف التي اجتمعت معهم في لفظ واحد فيقول "الجاحظ" في هذا الرّأي: "والزاي لا تقارن الظاء ولا السين ولا الضاد ولا الذال بتقديم ولا تأخير" وذلك بحكم أن حرف الزاي، الظاد السين، الضاد، الذال جنس واحد من حيث المخرج لأن الزاي أسناني لثوي والظاء أسناني مع مقدم اللسان والضاد أسناني لثوي والسين أسناني لثوي والذال أسناني[4].

ويعلل "ابن دريد" ما ذهب إليه الجاحظ فيقول" "واعلم أن الحروف إذا تقاربت مخارجها كان أثقل على اللسان منها إذا تباعدت"[5] ومن هنا يتضح أن "أبا عثمان" تفطن إلى قضية مهمة قبل الحدث الكلامي حتى يضمن للمتكلم فصاحة الكلمة فاقترح أن يكون هناك مزج بين الحروف من حيث الصفات، وكذا القيمة الصوتية من تفخيم وترقيق إضافة إلى مخارج الحروف حتى لا يلتقي الأصوات وهم من جنس واحد في الكلمة فيحدث تنافر وخلل في النطق أثناء الحدث الكلامي.

ومثلما كان "للجاحظ" دراسة في افتراق الحروف تطرق أيضا إلى افتراق الألفاظ، وتنافر بعضها من بعض، فيقول في هذا الصدد: "ومن ألفاظ العرب ألفاظا تتنافر وإن كانت

(1) –أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد: جمهرة اللغة، حققه وقدم له رمزي منير بعلبكي، ج1، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1987م، ص46.

(2) – الجاحظ: البيان والتبيين ، ج1، ص89.

(3) –ابن دريد: جمهرة اللغة،ج1، ص46.

(4) –تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، ط1، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1994م، ص266، 267.

(5) –المرجع السابق، ج1، ص46.

مجموعة في بيت شعر لم يستطع المنشد إنشادها إلا ببعض استكراه"[1] ومن ذلك قول الشاعر: وقَبْرُ حَرْبٍ بِمَكَانٍ قَفْرُ وليْسَ قُرْبَ حَرْبٍ قَبْرُ[2]

فقد وردت في الشاهد الشعري كلمات تنافرت فيما بينها نتيجة لتماثلها في بعض الحروف، فكلمة قبر تكرر حرفيها القاف والراء في نفس الشطر في كلمة قفر يعني أن الحرف الأول، والحرف الأخير في الكلمتين من الشطر الأول هو نفسه، أما في الشطر الثاني، فقد جاء بلفظين متقاربين كذلك كلمة قرب وكلمة قبر والتماثل كذلك في حرفي القاف والراء وبالتالي كان في البيت أربع ألفاظ بدأت بحرف شديد مجهور، وكان هناك تماثل في بعض الحروف، وهذا ما اصطلح عليه البلاغيون بمصطلح الجناس مما أدى هذا التقارب في أصوات الألفاظ على استكراه في النطق، وعدم القدرة على قراءة هذا البيت في نسق واحد.

كما ذكر الجاحظ أن هناك من أشار إلى أهمية بعض الأصوات في الخطب والرسائل وقد أتى بها في الشواهد الشعرية الآتية:

وَخِلَّةُ اللَّفْظِ في اليَاآتِ إِنْ فُقِدَتْ كَخِلَّةُ اللَّفْظِ في اللاَّمَاتِ والأَلِفِ

وخِصْلَةُ الرَّاءِ فِيهَا غَيْرُ خَافِيَّةٍ فَاعْرِفْ مَوَاقِعَهَا في القَوْلِ والصُّحُفِ[3]

فقد أشاد الجاحظ بأهمية هذه الحروف "الياء واللام والألف والراء" في الحدث الكلامي فيقول: "فإنك متى حصّلت جميع حروفها وعددت كل شكل على حدة علمت أن هذه الحروف الحاجة إليها أشدّ"[4]، وذلك باعتبار أن الياء والألف من حروف المدّ واللين يمتد فيها الصوت فيقع عليها ترنّم في القوافي وغيرها أثناء الحدث الكلامي، أما الراء واللام فهي

(1) –الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص49.

(2) –المصدر نفسه، ج1، الصفحة نفسها.

(3) – المصدر نفسه، ج1، ص21.

(4) – المصدر نفسه، ج1، الصفحة نفسها.

من حروف الذلاقة وأنها أخف الحروف وأحسنها امتزاجا بغيرها[1].

مما تقدم يتضح أن "الجاحظ" نوّه بضرورة فصاحة الكلمة عند الصناعة اللفظية بحيث تتوقف سلامة اللفظ على أربعة عيوب "تنافر الحروف، غرابة الاستعمال، مخالفة القياس، كراهة في السمع"[2].

وتطرق كذلك "الجاحظ" إلى فصاحة المتكلّم وما يعتري لسانه من عوائق تخل بالعملية التواصلية ومن بين تلك المعيقات قضية اللكنة التي يعرفها الجاحظ فيقول: "ويقال في لسانه لكنة إذا أدخل بعض حروف العجم في حروف العرب وجذبت لسانه العادة الأولى غلى المخرج الأول"[3].

ومن ثم كانت اللكنة عدم القدرة على النطق السليم للغة العربية، وقد تحدث الجاحظ عن بعض الشعراء والخطباء والبلغاء الذين اشتهروا بإبدال الحروف تحت ضوء اللكنة، وكان من بينهم "صهيب بن سنان النمري" صاحب الرسول الأعظم محمد (صلى الله عليه وسلّم)، أبو مسلم صاحب الدعوة، "زياد بن أبي سلمى" ومن اللكنات نذكر[4]:

- إبدال الخاء هاء: صهيب بن سنان النمري كان يقول: إنّك لهائنٌ وهو يريد إنّك لخائنٌ.

ويقول مولى زياد فإنه مرة قال لزياد: أهدوا إلينا همار وهش يريد حمار وحش.

- إبدال القاف كاف: قال بعض الشعراء في أم ولد له يذكر لكنتها:

أَكْثَرُ مَا أَسْمَعُ مِنْهَا في السِّحْرِ تَذْكيرُهَا الأُنْثَى وتَأْنِيثُ الذَّكَرِ

لأنها كانت إذا أرادت أن تقول: القمر، قالت: الكمر.

(1) –ابن دريد: جمهرة اللغة، ج1، ص 45، 46.

(2) –أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني واليان والبديع، ضبط وتدقيق وتوثيق يوسف الصميلي، ط1، المكتبة العصرية، 1999م، ص19.

(3) – الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص34.

(4) – المصدر نفسه، ج1، الصفحة نفسها.

كما عالج "الجاحظ" بعض اضطرابات الكلام التي تعيق العملية التواصلية وفصاحة الكلمة وتلك الأمراض الكلامية كشف عنها علم النفس الحديث، ومن بين تلك الاضطرابات يقول الجاحظ: "وأحدهما ألوم عن صاحبه والألسنة إليه أسرع وليس اللجلاج★ والتمتام★★ والألثغ★★★ والفأفاء★★★★ وذو الحبسة★★★★★ والحكلة والرته وذو

اللفف والوجه في سبيل الحصر في خطبته والعيّ في مناضلة خصومه"[1].

وبهذا يكون الجاحظ قد كشف عن بعض أمراض الحروف التي تعتري المتكلم وأرجعها إلى عوامل نفسية وخلل في الجهاز النطقي، وفي قضية أمراض الكلام.

قدم الجاحظ جملة من لخطباء الذين كانوا يعانون من بعض أمراض الحروف مما أدت بهم هذه الظاهرة إلى توظيف لهجات دون أخرى خوفا من الوقوع في اللحن، وكان من بين الجهابذة الذين ذكرهم "الجاحظ" "واصل بن عطاء الألثغ" فيقول في هذا الصدد: "كان واصل بن عطاء غزالا وزعم أن جميع المسلمين كفروا بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم) فقيل له وعليّ أيضا فأنشد:

وما شرُّ الثلاثةِ أمَّ عَمْرٍو بِصاحِبِك الذي لا تصحَبينا

قال "واصل بن عطاء الألثغ" عند ذلك: أما هذا الملحد الأعمى المشنف★ المكتتى بأبي معاذ★★ من يقتله. أما والله لولا أن الغيلة سجيّة من سدايا الغالية لبعثت إليه من يبعج★★★ بطنه على مضجعه"[1].

★ –اللجلاج: المتردد في نطقه.

★★ –التمتام: من يرد كلامه إلى التاء والميم.

★★★ –الألثغ: من يميل لسانه من السين إلى الثاء أو من الراء إلى الغين.

★★★★ –الفأفاء: من يردد الفاء.

★★★★★ –الحبسة: من لا يُسمع قوله.

(1) –الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص34.

★ –المشنف: المرعث.

(★★ –أبو معاذ: بشار بن برد.

والشيء الذي جعل "واصل ابن عطاء" يتصف بالصفات المحمودة في خطبه هو تجنبه حرف الراء ويبحث عن كلمة مرادفة للكلمة التي جاءت فيها حرف الراء "واللثغة في الراء تكون بالغين والذال والياء والغين أقلها قبحا وأوجدها في كبار الناس وبلغائهم وأشرافهم وعلمائهم"[2] إلا أن "واصل بن عطاء" لم يستعمل هذه الحروف بل تفاداها.

وبهذا يكون الجاحظ قد أشار إلى أهمية اللسان في الوضوح والبيان والعوائق التي يمكن أن تقف حائلا لفصاحة المتكلم، وفي تفصيل دقيق في معيقات العملية التواصلية حيث ترتبط بالفارق العمري، وكذا أمراض الكلام والبيئة الجغرافية فيقول "الجاحظ": "والذي يعتري اللسان مما يمنع بيان أمورها منها اللثغة التي تعتري الصبان إلى أن ينشأوا وهو خلاف ما يعتري الشيخ الهرم الماج المسترخي الحنك المرتفع اللثة وخلاف ما يعتري أصحاب اللكن من العجم وما ينشأ من العرب مع العجم"[3].

واستنادا إلى ما وصل إليه القدماء، وما استخلصه المحدثون قسّم العلم الحديث أمراض الكلام إلى أقسام القسم الأول منها تعود العلة فيه إلى أسباب وعوامل عضوية في جهاز النطق والقسم الثاني ترجع العلة فيه إلى أسباب وظيفية[4].

وهناك من الباحثين من يضيف المشكلات النفسية والاجتماعية التي تؤثر على إنتاج الكلام فيقول: "سلامته من المعيقات النفسية، والاجتماعية التي تؤثر على إنتاج الكلام ووصوله بشكل سليم إلى المستمع لتتم عملية التواصل بواسطة الكلام"[5].

لم يكتف "الجاحظ"بالوقوف عند كل ما يشكل عائقا للسان أثناء العملية النطقية، التي

★★★ –بعج بطنه: نقره.

(1) –الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص17.

(2) –المصدر نفسه، ج1، الصفحة نفسها.

(3) – المصدر نفسه، ج1، الصفحة نفسها.

(4) –مصطفى فهمي: أمراض الكلام، حصريات الابتسامة، دار مصر للطباعة والنشر، 1975م، ص33.

(5) –صالح بن يحي جار الله الغامدي: اضطرابات الكلام وعلاقتها بالثقة بالنفس وتقدير الذات لدى عينة من طلاب المتوسطة، رسالة دكتوراه، إشراف هشام بن محمد المخيمر، جامعة أم القرى، 2009م، ص13.

من شأنها أن تخل بفصاحة الكلمة بل غاص في لغات العرب، وميّز منها الفصيح والأفصح واللغة التي شابها اللحن، وفي هذا الرأي يقول: "وأقبح من ذلك لحن الأعاريب النازلين على طرق السابلة وبقرب مجامع ولأهل المدينة ألسنة ذلقة وألفاظ حسنة وعبارة جيدة واللحن في عوامهم فاش وعلى من لم ينظر في النحو منهم غالب[1] فقد أشار إلى فساد اللسان العربي نتيجة عوامل أدت إلى احتكاك العرب بالعجم ووفود الأعاجم إلى بلاد العرب وذلك من خلال حروب وهجرات وتجارة إلى غيرها من العوامل التي أدت إلى شيوع اللحن وفساد السّليقة، وبفخر واعتزاز يبين "الجاحظ" إعجابه بلغة الأعراب الفصحاء ورقي الخطاب اللساني فيقول: "إنه ليس في الأرض كلام هو أمتع ولا أنفع ولا آنق ولا ألذ في الأسماع ولا أشد اتصالا بالعقول السليمة ولا أفتق اللسان ولا أجود تقويما للبيان من طول استماع حديث الأعراب الفصحاء والعلماء البلغاء"[2].

وبهذا يتضح أن الجاحظ ربط درجة الفصاحة ورقي المستوى الدلالي وجودة الخطاب اللساني بدرجة فصاحة الكلمة والمتكلم، وما يخضعان له من شروط أثناء تأدية الحدث الكلامي.

2. الدلالة الصوتية في قالب الأداء اللغوي

لما كانت اللغة سلسلة من الأصوات المنظمة والمرتبة يعبر بها الأفراد عن أغراضهم كذلك شأن الأصوات التي يمكن من خلالها أن ننشئ ألفاظا وكلمات نتواصل بها ونسمي بعض الأشياء اِنطلاقا من أسمائها باعتبار أنها تحيل غلى دلالات متعددة تخدم الغرض وتحقق الغاية، وهذه القضية –قضية الدلالة– درست من لدن كثير من علماء اللغة والأدب لما لها من أهمية في الحدث الكلامي والصياغة اللغوية، وكذا تحقيق المقاصد وكان من بين هؤلاء "الجاحظ" الذي كان له هو الآخر إسهام في قضية الدلالة الصوتية، والتي تعبر عن معان كامنة في الموجودات، وقبل أن نتطرق إلى الدلالة في جانبها الصوتي لا بأس أن

(1) –الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص96.

(2) –المصدر نفسه، ج1، ص96.

نعرج على التصنيف الدلالي عند "الجاحظ" حيث إنه أشار إلى أن جميع أنواع الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ يمكن حصرها في خمسة أقسام، وفي هذا الصدد يقول: "وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ: خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد: أولها اللفظ ثم الإشارة، ثم العقد★، ثم الخط★★، ثم الحال، تسمى النصبة والنصبة هي الحال الدالة التي تقوم مقام تلك الأصناف ولا تقتصر على تلك الدلالات"[1].

وبذلك يكون الجاحظ قد سلّم بأن الدلالات على المعاني قد تكون بالكتابة أو الحساب أو الألفاظ أو الإشارات، ولم يكتف بذلك بل تطرّق غلى الدلالات التي تحملها الموجودات الظاهرة في خلق السماوات والأرض والصادرة في كل حيوان ناطق وجامد، وفي هذه الفكرة يقول "الجاحظ": "فالدلالة التي في الموات الجامد كالدلالة التي في الحيوان الناطق فالصامت ناطق من جهة الدلالة والعجماء معربة من جهة البرهان. ولذلك قال الأول: سل الأرض فقل: من شقّ أنهارك وغرس أشجارك وجنى ثمارك؟ فإن لم تجبك حواراً أجابتك اعتبارا"[2].

فالدلالة في الموات الجامد تحملها في كيانها إلا أنها تتصل بالإنسان عن طريق التأمل أو ترتبط به اعتبارا كما أن هناك وجودا للدلالة الصوتية في الطبيعة كحفيف السنابل التي تدل على أن هناك ريحا تحرّكها فينتج عن ذلك صوت الحاء والفاء فسميت حفيفا، وكذلك خرير المياه الذي يدل على تدفق المياه بقوة، فيشل صوت الخاء والراء فسميت بذلك الإسم. وقد تخرج تلك الكائنات إلى دلالات مختلفة يفسرها الإنسان عن طريق التأمل.

كما تناول الجاحظ أسماء الأصوات التي سميت بها بعض الحيوانات فيقول: "والقطا من الطير قد يتهيأ من أفواهها أن تقول: (قطاقطا) وبذلك سميت، ويتهيأ من أفواه الكلاب العينات والفاءات والواوات كنحو قولها: (وَوْوَوْ) و(عف عف)"[3]، فقد سميت الحيوانات

★ –العقد: الحساب دون الخط واللفظ.

★★ الخط: الكتابة.

(1)– الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص57.

(2)ـ المصدر نفسه، ج1، ص60.

(3)– المصدر نفسه، ج1، ص49.

والأشياء الموجودة في الطبيعة انطلاقا من الصوات التي تصدرها وقد يستعمل الفرد أسماء الأصوات من أجل أن يتعامل بها مع الإنسان أو الحيوان أو حتى الطبيعة لأنها تحمل دلالات ترتبط بالموقف الذي يمكن أن يكون فيه ذلك الشيء، وفي هذا الصدد نجد واحد من الدارسين قد قسم أسماء الأصوات إلى قسمين[1]:

– ألفاظ توجه إلى الحيوان الأعجم كالأطفال إما لتخويفه حتى ينصرف عن الشيء أو أدائه بمجرد سماع أحد تلك الألفاظ كقولك: (كخ كخ) بسبب أمر بغيظ يراد العدول عنه وقولهم لزجر الناقة (عاج عاج) فهذه الأسماء تدل على الزجر والعدول عن الشيء.

أما قول العرب عن تكليف أمر تؤديه بعض الحيوانات فتقول للضأن (عا عا) وللدجاج (ودْج، وقوس) وهذا لدعوتهم إلى الطعام.

– ألفاظ صادرة من الحيوان الأعجم مثلا يسمع العربي صوت غراب فيقلّده قائلا: (غاق) أو يسمع صوت وقوع الحجارة فيقول: (طاق) فلإنسان يمكن أن يتحاور مع الحيوان الأعجم عن طريق أسماء الأصوات فتكون هناك دلالتة صوتية تربط بين الطرفين تحملها تلك الأسماء وفي هذا الصدد يقول "الجاحظ": "ولقد كان أبو دبوبة الزنجي مولى آل زياد يقف بباب الكرخ بحضرة المكّارين فينهق فلا يبقى حمار مريض ولا هرم حصير★ ولا متعب بهير★★ إلا نهق وقبل ذلك تسمع نهيق الحمار على الحقيقة فلا تنبعث لذلك ولا يتحرّك منها متحرّك"[2]، فنهيق أبو دبوبة يمكن أن يخرج إلى دلالات متعددة ترتبط بالحيوان الأعجم (الحمار) مثلا: أنه يريد أن يخرجهم إلى المرعى، أو يحضر لهم الطعام أو أنهم خائفون من شيء اعتادوا رؤيته عندما ينهق "أبو دبوبة" لأنه إذا نهق أحد الأحمرة لم ينهق باقي الأحمرة.

(1) –عباس حسن: النحو الوافي، ط3، دار المعارف بمصر، دت، ص162، 163.

★ –الحصير: الضعيف.

(★★ –البهير: من يعدو بسرعة حتى ينقطع النفس.

(2) – الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص52.

مما تقدّم يتضح أن "الجاحظ" أشاد بفضائل الدلالة الصوتية التي عند الحيوان الناطق أو الموات الجامد في قالب الأداء سواء أكانت تلك الدلالة باللفظ أم بالتأمل أو بالاعتبار.

الخاتمـة

الخاتمة

من خلال هذا البحث المتواضع حول الدرس الصوتي عند الجاحظ من خلال كتابه البيان والتبيين، وكذا الوقوف على جهود العلماء في التأسيس للدرس الصوتي قديما وحديثا أمكننا التوصل إلى جملة من النتائج، نجملها فيما يأتي:

- يعد "الجاحظ" من العلماء السباقين الذين أسسوا لعلم الأصوات من جانبه الأكوستيكي والفيسيولوجي.
- كشف "الجاحظ" عن عيوب النطق وفساد اللسان البشري في ظل الممارسات اللغوية بين مختلف الطبقات الاجتماعية.
- رؤية "الجاحظ" لكيفية الصياغة اللغوية والحدث الكلامي مبنية على خبرة سابقة وتجربة دقيقة وتتبع مستمر.
- حلل "الجاحظ" الظواهر الصوتية في دراساته اللغوية مستندا إلى الأنماط الفكرية والثقافية والتنوع الطبقي.
- كشف "الجاحظ" عن التباين اللغوي في ظل ما يعرف باللسانيات الجغرافية وعلم الأرطوفونيا.
- ربط "الجاحظ" شرف الفصاحة برقي الدلالة الصوتية والجهد النطقي والوضوح السمعي.
- كشف "الجاحظ" عن اللغة من جانبها السيكولوجي وفق الدراسات العلمية الحديثة.
- يعد "الجاحظ" من أوائل الذين ربطوا قضية الصوت بالخطاب، ومن الأوائل أيضا الذين أشاروا إلى جمالية هذا الأخير وفعالية تأثيره في المتلقي، واستمالة نفسه واستقطاب ذهنه كل ذلك في علاقة بالمرسل في حرصه على الحفاظ على مختلف عناصر العملية التبليغية.
- لقد طرح الجاحظ قضية بالغة الأهمية مفادها أن الفصاحة لا ينبغي أن تقتصر على حروف الألفاظ في إبانتها على المعنى الخاص، وإنما ينبغي أن ينظر لزينة المعاني ووضوحها وإفهامها في علاقتها بالمعاني الكلية للخطاب.

- إن إشارة الجاحظ إلى بعض الحروف التي وقع فيها اللثغة مثل الراء يعد من باب الدرس الميداني (التجريبي) المبكر.
- إن في حديث الجاحظ عن العلاقة بين صحة الأسنان وسلامة النطق وحاجة الخطيب إلى إتمام تلك الأعضاء، هو فتح مجال واسع في علم الأصوات وكيفية استفادته من العلوم الصوتية.
- اختلف اللغويون القدماء والمحدثون في تحديد أهمية بعض أعضاء النطق وكذا في تسمية صفات بعض الحروف.

ويبقى هذا البحث قابلا للدراسة والتوسع خاصة فيما يتعلق بالظواهر الصوتية في ظل الممارسات اللغوية عند الجاحظ.

وأخيرا أجدد شكري وامتناني إلى كل من أسهم في إثراء هذا البحث وأخص بالذكر أستاذي الجليل "عبد الحميد بوفاس"، وفي عصارة هذا الجهد أسأل الله سبحانه وتعالى أن أكون قد أفدت واستفدت من هذه الدراسة، ولكل شيء إذا ما تم نقصان.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

•القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

أولا: الكتب

1. إبراهيم أنيس: الأصوات اللّغوية، د.ط، مطبعة نهضة مصر، د.ت.

2. إبراهيم أنيس: في اللهجات العربية، دط، مكتبة أنجلوالمصرية، القاهرة، 2003م.

3. أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني واليان والبديع، ضبط وتدقيق وتوثيق يوسف الصميلي، ط1، المكتبة العصرية، 1999م.

4. أحمد زرقة: أسرار الحروف، ط 1، دار الحصاد للنشر والتوزيع، 1993م.

5. أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي، علم أصوات العربية، دط، مطبعة المجمع العلمي، 2002م.

6. أحمد مومن: اللسانيات النشأة والتطور، ط1، بن عكنون، الجزائر، 2007م.

7. أمجد عبد الرزاق: الصوت والحركة الموجبة، دط، دار الكتب للطباعة، وزارة التعليم العالي، الموصل، 1987م.

8. أندريه مارتنيه: وظيفة الألسن وديناميتها، ترجمة نادر سراج، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2009م.

9. تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1994م.

10. جفري سامسون: مدارس اللسانيات التسابق والتطور، ترجمة محمد زياد كبة، د.ط، النشر والمطابع، جامعة الملك سعود، دت.

11. أبو الفتح عثمان بن جني: سر صناعة الإعراب، دراسة وتحقيق حسن هنداوي، ج1، ط2، دار القلم، دمشق، 1993م.

12. جون إيْ جويف وآخرون: أعلام الفكر اللغوي الغربي في القرن العشرين، ترجمة أحمد شاكر الكلابي، ط1، دار الكتب الجديدة المتحدة، 2006م.

13.خليل إبراهيم عطية: في البحث الصوتي عند العرب، منشورات دار الجاحظ للنشر، بغداد، دت.

14.السعيد شنوقة: مدخل إلى المدارس اللسانية، (ط1)، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، 2008م.

15.سمير شريف إستيتيه: الأصوات اللغوية رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية، ط1، دار وائل للنشر والتوزيع، 2003م.

16.أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه: الكتاب، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، ج4، (ط3)، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1980م.

17.أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه: الكتاب، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، ج4، (ط3)، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1980م.

18.ابن سينا: رسالة أسباب حدوث الحروف، تحقيق محمد حسّان الطيّان يحيا مير، دط، علم مطبوعات، مجمع اللغة العربية، دمشق.

19.الطيب البكوش: التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، تقديم صالح القرمادي، ط3، مكتبة الإسكندرية، 1992م.

20.عباس حسن: النحو الوافي، ط3، دار المعارف بمصر، دت.

21.عبد الصبور شاهين: المنهج الصوتي للبنية العربية رؤية جديدة في الصرف العربي، دط، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1980م.

22.عبد العزيز أحمد علاّم، عبد الله ربيع محمود: علم الصوتيات، مكتبة الرشد، الرياض، 2009م.

23.عبد الله السُهيلي: نتائج الفكر في النحو، حققه وعلق عليه عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م.

24.عبده الراجحي: اللهجات العربية في القراءات القرآنية، دط، دار المعرفة الجامعية للنشر والطبع والتوزيع، 1996م.

25.عصام نور الدين: علم الأصوات اللغوية الفونيتيكا، (ط1)، دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان، 1992م.

26.غانم قدوري حامد: مدخل إلى علم الأصوات العربية، دط، مطبعة المجمع العلمي، 2002م.

27.فتحي عبد الفتاح الدّجني: أبو الأسود الدؤلي ونشأة النحو العربي، (ط1)، وكالة المطبوعات، الكويت، 1974.

28.قاسم جار الله الزمخشري: أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل عيون السود، ج1، ط1، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، 1998م.

29.كمال بشر: علم الأصوات، ج1، دط، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2000م.

30.محمد إبراهيم شادي: البلاغة الصوتية في القرآن الكريم، ط1، الشركة الإسلامية للإنتاج والتوزيع والإعلان، الرسالة، 1988م.

31.محمد الأنطاكي: المحيط في أصوات العربية نحوها وصرفها، ج1، ط3، دار الشرق العربي، بيروت، شارع سورية.

32.محمد الصغير بناني: النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين، دط، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1994م.

33.محمد رياض كريم: المقتضب في لهجات العرب، دط، التركي للكمبيوتر وطباعة الأوفيست، طنطا، 1996م.

34.محمد محي الدين عبد الحميد: التحفة السنية بشرح مقدمة الآجرومية، ج1، مكتبة السنة، القاهرة، 1989م.

35.منصور بن محمد الغامدي: الصوتيات العربية، (ط1)، مكتبة التوبة، 2001م.

36.موسى بن محمد بن الملياني الأحمدي: الأفعال المتعدية بحرف، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1979م.

37.نعمان بوقرة: اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، ط1، عالم الكتب الحديث، 2009م.

38.نعيم علوية: بحوث لسانية بين نحو اللسان ونحو الفكر، ط2، المؤسسة الجامعية الدراسات والنشر والتوزيع، 1886م.

39.هادي نهر: علم الأصوات النطقي، دراسات وصفية تطبيقية، ط1، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 1911م.

40.وفاء البيه: أطلس أصوات اللغة العربية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1994م.

ثانيا: المعاجم

1.أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد: جمهرة اللغة، حققه وقدم له رمزي منير بعلبكي، ج1، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1987م.

2.أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء: مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ج1، د.ط، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

3.الخليل بن أحمد الفراهيدي: معجم العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السمرائي، ج1، د.ط، مؤسسة الهجرة، إيران، 1988م.

ثالثا: الرسائل الجامعية

1-صالح بن يحي جار الله الغامدي: اضطرابات الكلام وعلاقتها بالثقة بالنفس وتقدير الذات لدى عينة من طلاب المتوسطة، رسالة دكتوراه، إشراف هشام بن محمد المخيمر، جامعة أم القرى، 2009م.

رابعا: المجلات والدوريات

1-مصطفى فهمي: (أمراض الكلام)، حصريات مجلة الابتسامة، مايا شوقي، ط5، دار مصر للطباعة، أكتوبر 1975م.

ملخص البحث (باللغة العربية)

لقد عالج هذا البحث مختلف الظواهر والقضايا الصوتية عند الجاحظ، وبذلك تم التنويه بجهود الجاحظ في التأسيس للدرس الصوتي من خلال بعض الملاحظات العلمية المبكرة، وقد اشتمل البحث على مقدمة فصلان وخاتمة؛ حيث أشرنا في مقدمة البحث إلى أهمية الموضوع مع ذكر أهدافه وأسباب اختياره، مع تحديد منهج الدراسة.

أما الفصول فقد كانت إثنان، حيث عنون الفصل الأول: الدرس الصوتي بين القديم والحديث، وقد تحدثنا فيه عن مفهوم الصوت والحرف ثم الصوت اللغوي وجهاز النطق البشري وبعدها التفكير الصوتي عند القدماء والمحدثين العرب والغرب، في حين كان عنوان الفصل الثاني: المباحث الصوتية عند الجاحظ، وفيه مبحثان حيث أشرنا في المبحث الأول إلى مفهوم الصوت وكذا أعضاء النطق ووظائفها النطقية عند الجاحظ وبعدها الخصائص الفيزيائية للصوت عند الجاحظ، بينما أشرنا في المبحث الثاني إلى الظواهر الصوتية في رحاب الدراسات اللغوية عند الجاحظ وقد عالجنا فيه اللهجات واللسانيات الجغرافية ثم شرف الفصاحة في رقي العملية التواصلية وأخيرا الدلالة الصوتية في قالب الأداء اللغوي، وبعدها خاتمة تم رصد فيها مجموعة النتائج المتوصل إليها، والتي بينت سبق الجاحظ علماء الغرب إلى كثير من الحقائق المتعلقة بالدرس الصوتي.

Résumé de recherche en français

Cette recherche et l'exposition vintuelle nous invite a une lecture ou relecture dune étude de base une fondation de principes sur différents phénomènes et thème consternant la voit chez EL DJAHID fondateur de importantes informations et leçons rationnelles. Remarquable étude sur "les leçons orale" d'après ses observations pratique et imageât. Très tôt il météorise la recherche et partagé en deux chapitres, en traduction sur l'importance et le but, la raison dont il la choisie se thème en précision la méthode de l'étude suivie.

Premièrement la leçon vocale point de vue et façon de voir entre l'ancien et nouveau. En parle sur la définition et l'inscription orale et la syntaxe orale. Bien sur le système vocal, la commande vocale est une interface d'entrée d'un système permettant de passé des informations et même de donné des ordres à l'aide des messages vocaux deusiement les différents parties qui compose ce système biologique humain chaque partie son rôle, bien sûr tous les caractéristiques de chacun, leurs physiologie.

Finalement les phénomènes vocaux et les études linguistiques du langage humain une grande analyse de EL DJAHID.

فهـرس

الموضوعات

فهرس الموضوعات

العنوان ..... **الصفحة**

مقدمة 01

الفصل الأول: الدرس الصوتي بين القديم والحديث 07

مفهوم الصوت..... 08

الدلالة اللغوية لكلمة صوت 08

الدلالة الاصطلاحية لكلمة صوت 09

مفهوم الحرف..... 10

الدلالة اللغوية لكلمة حرف 10

الدلالة الاصطلاحية لكلمة حرف 10

الفرق بين الصوت والحرف..... 11

الصوت اللغوي وجهاز النطق البشري..... 13

مفهوم الصوت اللغوي..... 13

أعضاء النطق البشري 14

التفكير الصوتي عند القدماء الغرب..... 15

التفكير الصوتي عند القدماء العرب..... 16

التفكير الصوتي عند المحدثين الغرب..... 21

التفكير الصوتي عند المحدثين العرب..... 23

الفصل الثاني: المباحث الصوتية عند الجاحظ..... 30

مفهوم الصوت عند الجاحظ..... 31

أعضاء النطق ووظائفها النطقية عند الجاحظ..... 33

دور الأسنان في عملية النطق..... 33

دور اللسان في عملية النطق..... 34

دور النفس في عملية النطق 36

الخصائص الفيزيائية للصوت عند الجاحظ..... 37

اللهجات العربية واللسانيات الجغرافية 39

شرف الفصاحة في رقي العملية التواصلية 43

الدلالة الصوتية في قالب الأداء اللغوي 49

الخاتمة..... 53

قائمة المصادر والمراجع 56

الملخص باللغة العربية..... 61

الملخص باللغة الأجنبية..... 62

الفهرس..... 63